كش ملك

مجلة إلكترونية سياسية ـ اجتماعية ـ نقّادة ـ ساخرة

(تطمح لأن تكون هزلية)

رئيس التحرير : خطيب بدلة

المدير الفني : محمود نحلاوي

مديرة التحرير : فاطمة ياسين

الإخراج الفني : وافي بيرم

الفنانون المشاركون:

هاني عباس

موفق قات

حسام سارة

ماهر حميد

إنليل

رسوم الوجوه: بنت الهبيط

رسوم الوجوه: إنانا عبدللي

إذا أنت جاهز نار

أفواه المجانين

مع التيار ضد التيار

سيرة البيادق

شي ضرب شي قتل

إعلانات كش ملكية

سجل القادة التاريخيين

مختصون بكش الملوك

مدونات الحمير

شوية حيطان وسقف

بعنتعى الجد والهزل

معلومة صحيحة وثابتة: يشارك في تحرير "مجلة كش ملك" كتابٌ كبار (وكاتبات كبيرات).. وكتابٌ شباب مفاجئون (وكاتباتٌ شابات مفاجئات) أقل واحد فيهم (فيهنَّ) يتفوق في الأهمية على رئيس التحرير..

كش ملك

مجلة إلكترونية سياسية - اجتماعية - نقّادة - ساخرة

(تطمح لأن تكون هزلية)

إذا أنت جاهز نار

إذا أنت جاهز نار

كش ملك تخالف قوانينها

المتورط برئاسة تحرير
كش ملك: خطيب بدلة

أجمل ما في السوريين، وأحلى شيء فيهم، وأكثر ما يميزهم عن غيرهم من الشعوب والأقوام الأخرى، هو أنهم يضعون القوانين ويخالفونها! عامدين، متعمدين، و«عينَكْ عينَك»!.. لا بل إن أولَ مَنْ يخالفُ القوانين السورية هم واضعوها!

ونحن، جماعة مجلة «كش ملك» الإلكترونية، منسجمون جداً مع هذا المنطق، لأننا سوريون أباً عن جَد، وكابراً عن كابر. فكان أول قانون وضعناه هو أن نعتني بالشأن السوري، يعني: مصري، عراقي، ليبي، بحريني، جزائري، أوكراييني، (لا يشتغل معنا)!... ومع ذلك، وحتى بعدما حالَ على مجلتنا حَوْلٌ كاملٌ، نجد بعض الأصدقاء يصرون على إتحافنا بتحليلات سياسية تنظيرية فلسفية معمقة، بالأخص عن مصر، لأن المسيو (السيسي) كالَ للإخوان المسلمين ضربةً لا يَنْبُتُ فوقها عشبٌ ولا شَعْر!... والإخوان المسلمون، في المحصلة، لا يعتبرون تنظيمَهم المصري مصرياً خالصاً، بل هو عالمي، ومن ثم يصحُ أن يكون الشأن المصري سورياً (على مبدأ كَوْن عُرُوق الجسم متصلة)!.. ومن هذا المنطلق نضطر، أحياناً، للتساهل مع بوست لصديق إخوانجي سوري كان يعتقد أن الحلم الإخواني الكبير قد بدأ يتحقق في بلد المنشأ "مصر"، وعلى نحو شرعي كرمى لخاطركم! وإذا بهذا الحلم يقتله الجنرال السيسي، أفلا يستحق هذا أن تفرد له "كش ملك" مساحة صغيرة؟!

النموذج الثاني من الأصدقاء الذين يحبون مشاكستنا، وإجبارنا على مخالفة القوانين التي وضعناها، يمثله الأصدقاء ذوو المنشأ القومي الذين يعتقدون بوجود شيء محدد واضح المعالم اسمه "الشعب العربي"!!!... وشيء آخر متناغم ومتجانس اسمه "الأنظمة العربية"!! وأن هذه الأنظمة العربية (فيما لو كانت أنظمة، ولو كانت عربية) مسؤولة عما يجري في سوريا من مجازر، وأنها تستحق السباب عليها بالجملة، وبالمفرق، لأنها، في الوقت نفسه، مستبدة وحقيرة، ومع ذلك هو، صاحبنا، يتأمل منها خيراً، وطوال النهار يكتب عنها بوستات، وهي مطنشة عنه، لا تقدم له شيئاً مما يريد أو مما يتأمل.

نتساهل أيضاً مع الأصدقاء الذين يفهمون أن السخرية تعني "التنكيت"، و"الضحك" و"السهسكة"! وهؤلاء يعارضون "التنكيت"، و"الضحك" و"السهسكة"، لأنهم، يا حسرات قلبي عليهم حزينون (ونساؤهم حزانى تحصيلاً لحاصل) لأن نظام الولي الفقيه الإيراني، كما هو معروف، ما زال مستمراً بقتل الشعب السوري، معتمداً على الحزب الفاشستي الذي يقوده الإرهابي العالمي حسن نصر الله بالتعاون مع وريث حافظ الأسد.

ولأننا نقدر هذه الظروف، حق قدرها، فقد تساهلنا مع بوست يُبْكي الحجارةَ الصلدة كتبه صديق المجلة الفنان الأستاذ عدنان علوش وهذا نصه، حرفياً:
(وطني ينزف.. بحاجة إلى دم.. زمرة الدم.. حبوا بعضكم..).
تساهلنا لأن الصديق عدنان علوش سبق له أن زعل منا، لأننا حذفنا له بوستاً، فلم نشأ أن نُثَنّي عليه، فما كان منه إلا أن نشر صورة لطفل وجهه ممرغ بالدماء! الأمر الذي يثير قشعريرة القراء، وهذا ما لم نحتمله، فحذفناه، وإذا بصديقنا يكتب على الصفحة: لا يشرفني أن أكون في هذه المجلة!
وأنا، في الحقيقة، لم أستطع أن أجد صلة أو علاقة (للشرف) بموضوع حذف البوستات التي تبكي الحجارة الصلدة.
الشيء الأكثر غرابة، هو أن أحد القراء الذين يكتبون باسم مستعار، أراد أن يعمل لنا ردة فعل عكسية، فنشر صورة للفنان سعيد صالح في وضعية التهريج. فلما حذفناها بدأ يهاجمني شخصياً، ووصمني بكلمة طيلة حياتي لم تُوجه لي كلمة مثلها هي (المتصابي)...
قال: ماذا تريد يا خطيب بدلة، يا أيها المتصابي؟ لقد حذفت بوست الصديق عدنان علوش وفيه طفل مصاب بالقصف الهمجي، ما أعجبك، نشرنا لك صورة لسعيد صالح ما عجبتك؟ أي تضرب في شكلك على شكل مجلتك!

إذا أنت جاهز نار

أخبار وتحليلات كشملكية

أولاً- الإبراهيمي على شاطئ العراة- (فاطمة ياسين)

في خطوة مفاجئة «لكنها غير مؤثرة طبعاً» أعلن الأخضر الإبراهيمي عن خبر استقالته من منصبه كموفد من الأمم المتحدة والجامعة العربية لحل أو تسوية «أو تأجيج» النزاع السوري وذلك في نهاية شهر أيار/مايو..

الأخضر الذي اتهمه كل طرف في سوريا بالانحياز للطرف الآخر، قرر، بعد طول «بهدلة» أن يلحق بزميله كوفي عنان وأن يسلم الدفة للمجهول مجدداً..

الإبراهيمي الذي فشل في مؤتمر جنيف «واحد» في أن يخرج بورقة عمل محددة لحلحلة الأوضاع في سورية غاب عن المشهدين السياسي والإعلامي بعدها لمدة تسعة أشهر (قال أحدهم إنه شاهده خلالها على شاطئ للعراة بإيطاليا يمشي وحيداً مهموماً!)، المهم أنه عاد بعد غياب لتركيز اهتمامه على أهداف بعينها لتنفيذها في مؤتمر جنيف «اثنان»، أهم هذه الأهداف كان جمع ممثلين عن كل من المعارضة والنظام السوريين على طاولة «حوار» واحدة، أو على الأقل الوصول إلى خطة عمل تحوي نقاطاً واضحة لا لبس فيها تحمل في طياتها إرغام الأطراف المتنازعة على تنفيذها.. فَشِلَ هنا أيضاً صديقنا الأخضر وانزوى بعيداً لا أحد يعرف له مكاناً أو يسمع له تصريحاً..

إلى أن جاءت هجمة الانتخابات الرئاسية السورية وترشح ثلاثة أسماء للرئاسة من ضمنها اسم بشار الأسد.. أدت فيما أدت إلى استقالة الموفد الأممي والعربي (تبييضاً لوجهه ولملمةً لكرامته) وبقيت سوريا كما كانت دائماً وحيدة يديرها ويتحكم بأحوالها بشار الأسد وشبيحته وحلفاؤه الروس والإيرانيون..

ثانياً- ذهب الأخضر وبقي اليابس- (فاطمة ياسين)

منذ صبيحة يوم الأربعاء ٤/٦/٢٠١٤ وأصوات رصاص كثيفة لا تهدأ في مناطق سيطرة النظام.. في قلب العاصمة وفي السويداء وبعض مناطق حمص وحماه واللاذقية وطرطوس وإدلب وجبلة.. صوت الرصاص ليس ناجماً هذه المرة عن اشتباكات جديدة في مناطق النظام بل كانت تصدره فوهات بوارید الشبيحة وهم يحتفلون بفوز رئيسهم بشار بالانتخابات قبل صدور النتائج بساعات. وانتشرت فيما بعد أرقام متباينة على الصفحات المؤيدة وصفحات المنحبكجية تدل على النسبة التي ربح من خلالها بشار الأسد كرسي الرئاسة في سوريا.. تراوحت النسبة بين (٨٢ – ٩٢)%..

النسبة الحقيقية ليست مهمة بالطبع، فبالحالتين بشار ربح الانتخابات «ديمقراطياً»، لكن زيادة الرقم في بعض الصفحات كان بدافع شخصي من أشخاص يحبون القائد أكثر مما يحب هو نفسه وأكثر مما تحبه قنوات الدنيا والإخبارية السورية والطبية السورية والتعليمية السورية ونور الشام الإسلامية وأكثر مما يحبه القائمون على فرز الأصوات والذين توقفت عجلات عداداتهم عند رقم ٨٨,٧٪ وبنسبة مقترعين تخطت ٧٣,٤٪ أي أن ثلاثة من كل أربعة أشخاص يحق لهم التصويت قد توجهوا إلى مراكز الاقتراع «من كل عقلهم» ليدلوا بأصواتهم التي ستتوج ملكاً من ورق ليجلس على كرسي من دماء صنعه العالم وأهداه للشعب السوري المسكين..

ثالثاً- الجنرال عون وجائزة نوبل للأسد- (خطيب بدلة)

قبل أيام من موعد الانتخابات الرئاسية السورية الموافق لليوم الثالث من حزيران (يونيه) ٢٠١٤، صرح الرفيق المناضل الجنرال ميشيل عون، بأن الرفيق المناضل الدكتور الفريق الركن بشار الأسد يستحق جائزة نوبل للسلام! ليس بسبب إقدامه على قتل ربع مليون سوري، وسجن ربع مليون سوري آخر، وتشريد ثلث الباقين على قيد الحياة من أبناء المجتمع السوري في المخيمات ضمن البلاد السورية ودول الجوار، وتَمَكُّن طويلي العمر من العبور إلى أوربا دون أن يغرقوا في بحار الله المتلاطمة الأمواج، وتحقيقه خسائر للاقتصاد السوري والثروة القومية السورية قدرت بـ ١٤٤ مليار دولار حتى الآن،... وإنما لأنه- كما أوضح سيادة الجنرال عون- يحارب الإرهاب!

تحدث الرفيق الجنرال «عون» عن الرفيق الفريق الدكتور بشار الأسد كما لو أنه رجل موجود على رأس هرم السلطة السورية بالـ «مصادفة»!... أو أنه «مقطوع من شجرة»! أو كما لو أنه- حاشاكم- «لقيط»! أو أن «شرشه على البلاط»! وكأن هذا «الجنرال العوني» لا يعرف أن «هذا الشبل من ذَيَّاك الأسد»، وأن بشار منحدر من سلالة كلها مختصة بمحاربة «الإرهاب»! فوالده، القائد التاريخي الخالد، الرمز، الضرورة، الفريق، الركن، حافظ بن سليمان الأسد، كان أشد منه بأساً وشكيمة في هذا المجال بالذات، بدليل أنه، وبعدما قتل، في أوائل الثمانينات، مئتي ألف سوري، في حماه، وفي سجن تدمر، وفي حلب، وفي جسر الشغور، أعطى لنفسه بضع سنوات تمكن خلالها من تمشيط البلاد السورية بالطول والعرض والورب، لم يترك خلالها على الأرض من الإرهابيين «دَيَّارا»، وبعدها، في سنة ١٩٩٠، سَيَّرَ حملةً عسكرية كبرى، برعاية أمريكية فاخرة، وهاجم الجنرالَ ميشيل عون (أظن أنه نفسه، وليس مجرد تشابه بالأسماء!) في قعر داره في «جونيه»، وطفق يدكُّه بالمدفعية والطيران وراجمات الصواريخ، حتى لعن «أبا» العون الكبير، وأجداده، وسنسفيله، وأجبره، بالحذاء العتيق، على اللجوء إلى السفارة الفرنسية ببيروت، تمهيداً لإذلاله، وإرغامه، وإخراجه من دياره صاغراً.

معلوم يا عمي.. محاربة الإرهاب على هيك ومتله.

حكم ومفهوميات ..

حكم ومفهوميات

أبو وحيد: أوقفونا عند حاجـــــز للتفتيش يوم الانتخابات، طلع واحد، زاور الركاب وقال: ولاه، مين الحيوان اللي ما انتخب ســيادة الرئيس؟ فردت عليه امــرأة عجوز: لا تاكل هم عين خالتك. الله وكيلك ما بقــي حيوان وما انتخب سيادة الرئيس!

خطيب بدلة: أنا لم أتعرض لأي فيتو، لأنني، أساساً، لم أعرض قضــيتي على مجلس الأمن.

كش ملك: من الأخبار السارة لهذا الشهر أن دولة الإسلام في العراق والشام أقامت مهرجاناً ثقافياً في مدينة منبج.. والحزب الشيوعي السوري الموحد في سوريا أيد الرئيس بشار الأسد في حملته الانتخابية التي لا ينافســه فيها أحد- والحمد لله- وأعلن إنه يريد تحرير الجولان.. (الحزب الشيوعي ذكي، يعرف أن ماهر حجار وحسان النوري مو قابضين قصة الترشح).. وتبين كذلك أن الأديبة كوليت خوري ما تزال على قيد الحياة، وتقول إنها تكره الصـــهيونية وتؤيد بشار الأسد، وتؤيد أباه في قبره، إلى الأبد.

ماهر حميد: العدناني يتهم الظواهري ويقول له: أنت يا بتاع مرســي حاجتك تدليس عملت حالك مسخره! وكمان يفسفس له على جبهة النصرة وبيقول له: بيقولوا عليك مخرف... طبعاً، وفي الســـياق، ومن باب النهي عن المنكر، يبهدل العلمانيين بهدلة الكلاب.

وترد عليه «القاعدة» من خراســان، وتقول له: اخرســوا أيها الحَرُوْرِيُّون! أي والله، قالت له: حروريون!

(الحروريون) كلمة أنا- شخصــياً- لا أعرف معناها، لكن شكلها كبيرة كتير كتير. اللهم أصلح خليفتينا كلاهما. آمين.

مصطفى عبد الناصر: بما أن الأشياء بنتائجها، فإن أهل منبج- حينما تغادر هم داعش- سوف يكونون، رجالاً ونســاءً، في عداد المدخنين! وسوف يتركون الصلاة على الأرجح!

خطيب بدلة: إذا لم تنجز الثورة شيئاً، يكفي أنها بَهْدَلَتْ النظام الســـوري، وشَرْشَحَتْه، فخلال أربعين سنة كان المحسوبون على النظام ينهبون الشعب الســـوري بطرق «أكابرية»، ومبتكرة: كالرشاوى الســـرية، والتدليس القانوني، وتقطيع المشـــاكل بين المتخاصمين، والاستئثار بالبعثات العلمية، وعقد الصـــفقات المشـــبوهة، وأثناء ذلك لا يمكن للواحد منهم أن يظهر أمام الإعلام إذا لم تكن ربطة عنقه واصلة إلى خصيتيه.

الآن نرى من صور «التعفيش» ما يجعلنا نفرط من الضحك على الذَّرْك التافه الذي وصلت إليه جماعة النظام، وأفراد الجيش العربي السوري الباسل، على صعيد السرقة.

مع التيار .. ضد التيار

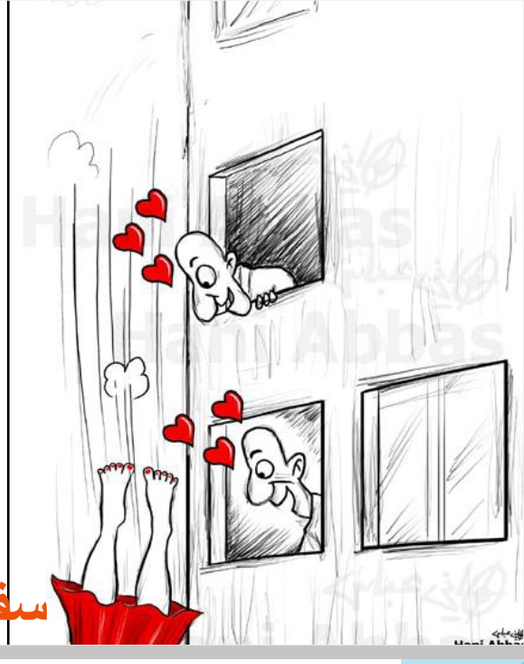

سقط «حافظ الأسد» سهواً

يكتبها السبائكي

٢٤ قيراط

سامر قطان

في الثالث من أيار، اليوم العالمي لحرية الصحافة، يستعيد الذهن تلقائياً أوضاع الصحافة والإعلام في سورية.

أشهرُ الأقوال التي يتداولها السوريون منذ العام ١٩٧٠ إلى اليوم، والمتعلقة بـ«الصحف» الثلاث: البعث، الثورة، وتشرين، بأن عدد المُرْتَجَعَات من نسخها الموزّعة يومياً يزيد عن عدد النسخ المطبوعة!

فإذا كانت «البعث» تطبع وتوزّع ستين ألف نسخة، مثلاً، فإن العائد إلى دار البعث في اليوم الثاني هو سبعون ألف نسخة! وإن بدا للقارئ أن الرقمين يخالفان المنطق والعقل السليم، فإنهما على اتفاق تام مع اللامنطقي واللامعقول مما يسود الحياة الإعلامية في سورية!

هل قلتُ (حياةً إعلامية)؟! لا يوجد إعلام أساساً لتكون له حياة! فالإعلام بالمعنى المتفق عليه، في اللغة والواقع، في مختلف بلدان العالم قد أُلغي منذ انقلاب حافظ الأسد ١٩٧٠. لا توجد صحف في سورية لتكون رفيعة المستوى أو متوسطة المستوى أو رديئة المستوى. ما يوجد مجرد أوراق تُوَزَّعُ على المؤسسات والدوائر والوزارات هي في حقيقتها نشرات سلطوية (حتى إنها لا ترتقي إلى المستوى الحزبي البعثي) ليس إلا. نشرات تمنع منعاً باتاً عنواناً يقول مثلاً: زار رئيس الوزراء الإيطالي سورية والتقى.... إلخ، فارضة القول: استقبل الرئيس حافظ الأسد رئيسَ الوزراء الإيطالي!

ما من اسم يتقدّم اسم الرئيس، سواء سافر الرئيس إلى بلدٍ، أو زار سورية رئيس أجنبي أو عربي مهما علا شأن الزائر وكانت أهميته!

حدث مرة في إحدى دورات «مهرجان دمشق السينمائي» أن قامت مؤسسة السينما بطباعة ملصق للإعلان عن افتتاح المهرجان، يتضمن كافة المعلومات الاعتيادية، ثم قام عاملون في المؤسسة بإلصاق الإعلان الورقي على كافة الجدران في مدينة دمشق.

فجأة، وبعد يوم واحد، امتلأت شوارع دمشق بعمال المؤسسة الذين راحوا يكشطون الإعلانات عن الجدران بهمّة وقلق باديين، أو كانوا يُخْفونها بالحبر البخاخ (كما حدث بعد سنوات إزاء الشعارات التي كتبها الشبان الناشطون في الثورة) مما أثار استغرابَ المارة والمتابعين للمهرجان، فظن العديد منهم- وأنا بينهم- أن المهرجان قد أُلغي، غير أن السبب كان في مطرح آخر: كل ما نصَّ عليه الإعلان كان صحيحاً سليماً سوى سقوط جملته العتيدة المعتادة سهواً: «برعاية السيد الرئيس حافظ الأسد».

أعادت المؤسسة طباعة الإعلان مُظْهِرَةً الجملةَ السابقة بخط عريض، ورَوَّسَتْ به الإعلان، ليعود العمال إلى إلصاق النسخ «المعدّلة والمنقحة» من الإعلان.

هذه بعض شجون وحكايات «الصحافة والإعلام» في سورية، وسأعود إلى رواية حكايات أخرى عن وسائله الأخرى، لا ليتعرف السوريون عليها، إذ أنهم يحفظونها عن ظهر قلب، إلا أن المناسبات تستدعي تذكّر أحوال البلد، وهو ما اقتضى الحديث عنه لمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة!

قنابل صوتية

الطلاق في زمن الثورة
ثلاثة أيام في حياة مهاجر سوري

كش ملك ترحب بالكاتب
السوري المتميز:
حليم يوسف

اليوم الأول

تعب من متابعة أخبار الفضـــائيات. هرع قبل النوم إلى الانترنيت مقرراً أن يتصـفح الفيسـبوك لعشـرة دقائق ثم يخلد إلى النوم. مضـت ثلاث ساعات بسـرعة البرق. وعندما غادر الفيسـبوك ندم على وقته المهدور. وتأكد بأنه سيقضي في الغد يوماً آخر شبيها بالذي قبله.

ما إن وضع رأسه على المخدة حتى وجد نفسه محشوراً في طابور من البشر أمام باب الفرن، وفجأة ارتفع هدير الطائرات الحربية، ونزل من الأعالي برميل متفجر وقع على رأسه مباشرة، وكأن الطيار تقصـــده هو دون كل البشـر. رفع يديه ليحمي نفسـه من البرميل السـاقط، فإذا به يقبض على يدي زوجته الأجنبية التي أيقظها صراخه من النوم.

بقي، للحظات، مذهولاً، وعندما تأكد بأنه كان يحلم، شكر الله في سره وأقسـم اليمين أمام زوجته بأنه لن يتفرج بعد اليوم على المشـاهد الفظيعة التي تبثها الفضائيات العربية مع نشرات الأخبار:

- والله العظيم، ابتداء من الآن سـأكف عن متابعة هذه الأخبار المرعبة، والثورة ستنتصر رغم البراميل.

اليوم الثاني

استيقظ متأخرا كعادته. أوصل ابنته إلى المدرسة وابنه إلى الروضة. ودع زوجته وعاد إلى البيت. قبل أن يسمع ويشاهد الأخبار اليومية تذكر قراره بالكف عن مشاهدة الفضائيات. تجول في أرجاء البيت جيئة وذهاباً، وعدل عن قراره. أحس بنفسـه وكأنه مدمن وهو يتخذ قرار الكف عن تعاطي المخدرات. تابع الأخبار الجديدة بفضـول أشد من السـابق. وانتقل بعدها إلى تصـفح المواقع الإلكترونية وقراءة البوستات الجديدة لخمسـة آلاف صديق لمن هم على قائمته التي يجددها باستمرار بحذف أسماء وإضافة أخرى. غرد على التويتر قليلاً، ثم عاد إلى النسخ واللقص واللصق والبدء بممارسة نشاطه الإلكتروني، بوصفه ناشطاً سياسياً ومعلقاً نشيطاً على الأحداث اليومية. ترك كل شيء على حاله وركض باتجاه المدرسة والروضة لإحضـار طفليه. انشغل بهما حتى عادت زوجته الأجنبية من العمل.

في المساء لم يتجرأ على مشاهدة الفضـائيات النارية التي تبث أخبار الثورة على مدار السـاعة. واكتفى بمشـاهدة الفيديوهات الجديدة الوافدة من أرض الوطن. وقبل أن ينام تذكر بأنه نسي أن ينام في النهار هذا اليوم، إلا أنه، ومع ذلك، ذهب إلى الفـراش متأخـراً. وما إن أغلق عينيه حتـى تجمعت حوله مجموعة كبيرة من الملتحين المدججين بالأسلحة والسيوف والسكاكين. وقف أحدهم فوق رأسه وهو يحمل السـاطور، وعلى بعد متر واحد وقف آخر يقرأ فـي ورقة ذكـرته بالكتابات المطبوعة علـى جلد الغـزال فـي عهود ما قبل اكتشـاف القلم. حاول طوال الوقت فك يديه والصـراخ عالياً، ولكنه لم يفلح، ولم يكن له صـوت أصـلاً. انتهى القارئ من تلاوة أسباب الحكم عليه بالذبح، فتحرك حامل السـاطور مقترباً منه و.. وجد نفسـه بين يدي زوجته الأجنبية مذعوراً. شـــكر الله مرة أخرى على أنه كان حلماً، وعلى أنه بعيد آلاف الكيلومترات عن متناول يد الجميع. ولكي يقطع الطريق علـى مداخلة زوجته الغاضبة، أقسم قسماً لا رجوع عنه:

- والله العظيم سأكف عن هذا الأمر، ولن أعود إلى مشـاهدة هذه الفيديوهات الدموية المقرفة مرة أخرى. الثورة ستنتصر رغم الإرهاب.

اليوم الثالث

بعد أن انتهى من الأعمال التي يقوم بها كل يوم، أوصل نفسه، بصعوبة، إلى فراش زوجته المسـتغربة من خلوده إلى النوم في هذا الوقت. كان منهكاً ولم تلفت نظره سهام الغضـب المتطايرة من عيني زوجته السـاخطة عليه منذ ما يزيد عن السـنتين. نام على الفور ونامت زوجته. وجد نفسـه هذه المرة في غرفة باردة ومظلمة. فكر بإشعال المدفأة، فتذكر أن رياح الحرب تعصـف بالبلاد والعباد وأن الحصـول على المازوت يعتبر ضرباً من المسـتحيل. وعندما فكر بإضـاءة الغرفة تذكر أن الكهرباء مقطوعة منذ زمن، وعندما تأتـي الكهـرباء يـرقص الناس فـرحا وهم يحتفلون بمجيئها الباذخ. أحس بالعطش. كان حلقه جافاً ويعصـر الجوع معدته. أحس أنه بحاجة ماسة إلى الصـراخ. فتح فمه وقبل أن يصـرخ أيقظته زوجته الأجنبية وهي تحمل في يدها حقيبة كبيرة:

- أقسـم بالله العظيم، لن ترى وجهي بعد اليوم. صار لي ثلاث سنوات وأنا أعيش تحت البراميل وفي أجواء الإرهاب. والثورة ستنتصر رغم الطلاق.

كانت تلك هي الكلمات الأخيرة التي يسمعها الناشط السياسي من زوجته التي أدارت له ظهرها، ومضـت بخطوات مسـرعة، كما لو أنها تغادر الجحيم. وتمتم لنفسه مردداً كلماتها الأخيرة:

- نعم، ستنتصر الثورة رغم الطلاق.

سيرة البيادق

سيرة البيادق

يكتبها: رامي سويد
من قسط حلب

يا سلام على العيشة في «الطبقة» تدخين وحلاقة عالصفر وإنترنت.. وكلُّو شرعي

بعد أن ينهي «حمودي»، وهو صاحب مقهى للإنترنت في مدينة الطبقة (التي تبعد عن حلب ١٥٠ كيلومتراً من جهة الشرق) تناوُلَ وجبة الغداء التي جلبها من محل جاره «أبو حسين الفوال»، يُخرج علبة دخانه من الدرج، ويشعل سيجارته الأولى لهذا اليوم، رغم اللافتة التي اضطر لتعليقها فوق مكتبه والتي كُتب عليها: (ممنوع التدخين لأسباب شرعية).

لم يستطع حمودي أن يمنع نفسه من التدخين في المحل، ممارساً الفعل الذي لم يعد الكثيرون يجرؤون على اقترافه- علناً- في المدينة بعد سيطرة تنظيم دولة الإسلام في العراق والشام عليها في منتصف شباط الماضي.

حمودي، والحال كذلك، يحاول قدر الإمكان اختلاس سيجارة حينما يكون عدد الزبائن في الصالة قليلاً، لكي يقلل من احتمال تبرع أحدهم بإبلاغ شرطة «الحسبة» عن مخالفته للقواعد «الشرعية»، ولكن، هذه المرة، كانت وجبة «الفول» التي تناولها مصنوعة بإتقان إلى درجة أن نسبة الثوم العالية في حمضه أجبرته على أن يستل سيجارته بالرغم من امتلاء المحل بالزبائن.

خلال نصف ساعة، كانت دورية «الحسبة» المؤلفة من ثلاثة مسلحين يرتدون الرداء الأفغاني الأسود، تدخل الصالة. يتقدم أولهم ليسأل حمودي وهو يشير إلى علبة الدخان الموضوعة على الطاولة:

- لمن هذه؟

يجيبه حمودي مع ابتسامة صفراء: لي.

يأمره المسلح: إذن، تفضل معنا.

حمودي، بعد أن يقف، يقول: تفضلت..

يصل المسلحون وهم يحيطون بحمودي إلى سيارة «الحسبة». يفتح أحدهم الباب الخلفي فيظهر لحمودي شابان أحدهما في حوالي العشرين من العمر يرتدي مريول الحلاقة وقد تمت حلاقة نصف رأسه الأيسر دون نصفه الأيمن، وثانيهما في أواسط الثلاثينات يحمل في يده ماكينة حلاقة كهربائية تدل بشكل أو بآخر على أنه حلاق..!

يصعد حمودي السيارة حابساً ابتسامته الفضولية. يتردد كثيراً قبل أن يسأل جاره قائلاً على نحو هامس:

- شو صديقي؟ دولة الإسلام عم تعمل دورات حلاقة؟

لم يجرؤ الحلاق على الرد. يلتفت أحد عناصر دولة الإسلام إلى حمودي وينهره قائلاً:

- إذا نبستَ ببنت شفة، مرةً أخرى، فلا تلومنَّ إلا نفسك.

يبلع حمودي ريقه، ثم يشرع بتسلية نفسه بالنظر من خلال النافذة، إلى أن يصل الرَكْبُ إلى القاعدة العسكرية التابعة للتنظيم والتي سُميت: «الهيئة الشرعية في مدينة الطبقة».

يدخل حمودي مع الحلاق وزبونه ومسلحي دورية الحسبة إلى إحدى الغرف في ممر الطابق الأرضي من المبنى. الغرفة كبيرة. في نهايتها طاولة يجلس وراءها «شيخ» هو قاضي الحسبة. أمام الطاولة يصطف طابور مؤلف من شبان ورجال من مختلف الأعمار. بجانب الطابور ثمة مسلحان ينظمان دور المتحاكمين أمام قاضي «الحسبة».

يقترب دور حمودي. يبدأ بسماع التحقيقات مع المتهمين وإصدار الأحكام بحقهم. الواقع أن قاضي «الحسبة» يحقق في أية مسألة ويصدر الحكم فيها خلال زمن يتراوح بين دقيقة وثلاث دقائق. لذلك لم يكن الانتظار في طابور المتهمين مملاً إلى درجة كبيرة.

حمودي يقترب من الطاولة. أصبح يفصل بينه وبين القاضي متهمٌ واحد، بالإضافة إلى الحلاق وزبونه، وصار قادراً، رغم الضجيج، على سماع الحوار بين المتهم والقاضي.

يقول القاضي للمتهم: ما تهمتك أنت؟

المتهم: تبرُّج.

القاضي: أوصفه لي.

المتهم: أمسكوا بي حين كنت مع زوجتي في السوق. كانت زوجتي بدون غطاء وجه.

القاضي: حكمنا عليك بحضور الدروس الشرعية في المسجد لمدة شهر، وفي حال الغياب تُجلد عشر جلدات، انصرف.

يقترب الحلاق وزبونه. يقول القاضي: ما تهمتكما؟

كلاهما: اتباع الغرب وتقليده.

القاضي: ألا تستحيان أن تقلدا الغرب في ظل هذه الهجمة التي يشنها الكفرة على الإسلام؟

يطأطئ الحلاق وزبونه رأسيهما.

القاضي: حكمنا عليكما بالحلاقة على الصفر، وباتباع الدروس الشرعية في المسجد لمدة شهر.

ينظر القاضي إلى حمودي، يقول زاجراً: اقترب.

يقترب حمودي حابساً ابتسامته، يقول القاضي: ما تهمتُك؟

يقول حمودي متهكماً: تعاطي!

يقول القاضي: لعنك الله، ماذا تتعاطى؟

يقول حمودي: الدخان.

يقول القاضي: ألن تتركه؟

يجيب حمودي: بلى، إن شاء الله.

يقول القاضي: سأكتفي هذه المرة بالحكم عليك بحضور الدروس الشرعية وإن كررتها سآمر بجلدك، انصرف.

قبل إخلاء سبيل حمودي يتم اصطحابه إلى طاولة عليها سجل يحوي قوائم بأسماء المحكوم عليهم باتباع الدورات الشرعية، يطلب الجالس خلف الطاولة من حمودي اسمه الثلاثي وعنوانه، ليسجله ويخبره بأماكن الدروس ومواعيدها، يقترب حمودي من الطاولة ويتفحص الأسماء بفضول، ينهره الجالس على الطاولة قائلاً: بكرا بس تبدأ الدورات بتتعرف على أمثالك من «الحشاشين»! ، يرسم حمودي ابتسامته الماكرة على وجهه ويقول:

- هذول اللي قريت أسماءهم ما كانوا يدخنوا قبلما حضرتكم تحتلوا البلد، أنا مستغرب وجود أسماءهم، غريبة والله، أيش اللي صار؟!

كش ملك
مجلة إلكترونية سياسية- اجتماعية- نقدية- ساخرة
(تطمح لأن تكون هزلية)

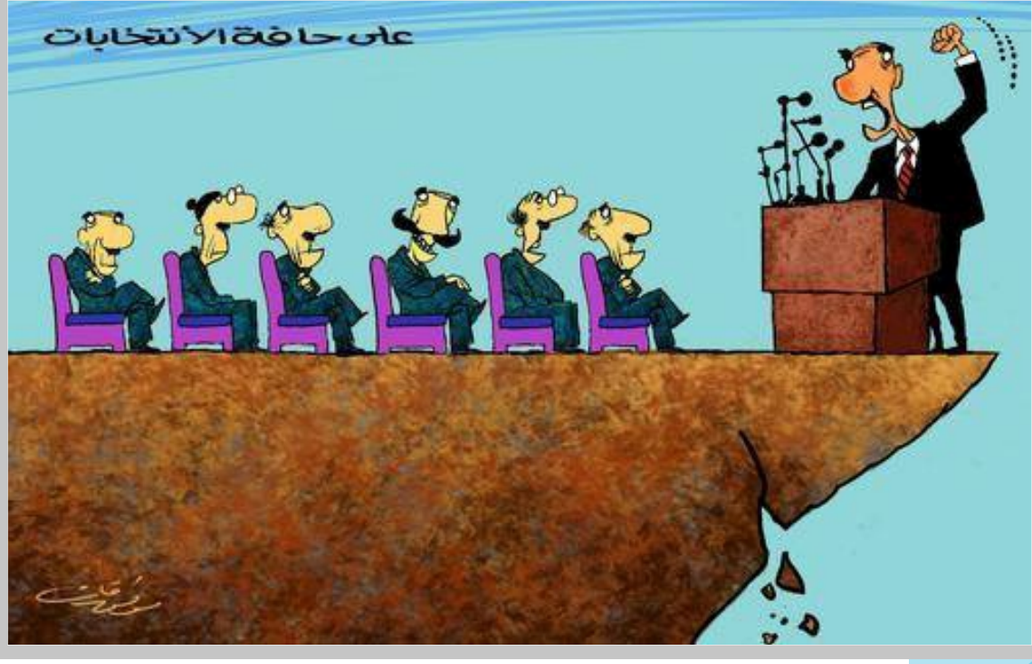

ماهر حميد

حينما انتخب الكفيل السعودي قائدَنا الخالد

في الاستفتاء الرئاسي السوري السابق- ٢٠٠٧- أقامت السفارة السورية في المملكة العربية السعودية مركزاً انتخابياً في فندق شيراتون بالمدينة المنورة.

كان ثمة شباب سوريون موظفون في إحدى المؤسسات السعودية يجهزون أنفسهم للذهاب إلى المركز، وأثناء ذلك كانوا يشرحون لبعضهم البعض العواقب الوخيمة التي يمكن أن تترتب على الامتناع عن ممارسة الاستفتاء.

- يا شباب، ترى سمعنا أنهم عاملين غرفة سرية، ولكن انتبهوا. اوعوا لا تدخلوا عليها، لأنهم عم يسجلوا أسماء يلي بيدخلوها.

- أنا سمعت أنهم حاطين علامات سرية على الأوراق، اللي بيكتب (لا) بيكشفوه بسرعة.

- اتروك من إيدك يا سليم، أخَرْتنا.

- يا زلمة، هاد العرصيص ممدوح قديش منافق! قال آخد معو بوكيه ورد عالمركز الانتخابي.

- لك وينه أبو محمود؟ تأخر. شو؟ كأنه مو سائل على حالو!

- يا زلمة. والله عم يخطر على بالي ما أروح ولا أنتخب.

- له له. شو عم تحكي؟ ولك إذا مو خايف على حالك هون خاف أهلك اللي في البلد.

- ياالله يا سليم. هلكتنا. اتروك من ايدك حتى نمشي.

المهم، الشباب اعتذروا من كفيلهم السعودي:

- سامحنا يا أبو أحمد، أنت تعرف البير وغطاه، بدنا نتركك لحالك ساعة زمان، شي نثبت وجودنا بمركز الانتخاب ونرجع.

ومشى الموكب. وعندما وصلوا عند باب المحل ناداهم كفيلهم أبو أحمد:

- يا شباب إذا تحبوا أنا أروح أنتخب وياكم. حتى ما يسألوكم (ليش كفيلكم ما انتخب)!

قالها الكفيل وهو يضحك بعذوبة.

شي ضَرَب.. شي قَتَل

شي ضَرَب.. شي قَتَل

يوسف رزوق

الزعيم أبو صطيف يتزوج على أم صطيف

استقرت الأوضاع بعد طول انتظار، وخفت وطيس المعارك، وبدأ الناس يحاولون العودة إلى حياتهم الطبيعية في تلك المنطقة التي يُفترض أنها محررة... كانت حمى الانتخابات المصرية والسورية قد لعبت بالرؤوس، بالأخص الفارغة، واحتلت مكاناً لها في نفوس الوجهاء والقادة.

في أحد الأيام، فتح أبو صطيف التلفاز، وقلب على قناة إخبارية، وراح يتابع مشاهد الانتخابات المصرية والانتخابات السورية اللتين جرتا في وقت واحد... انزعج واشمأزّ، وخرج من منزله متوجهاً إلى مضافة القرية حيث كان يجتمع حشد من أهل القرية وأهالي القرى المجاورة يتوسطهم بعض القادة العسكريين.

ألقى السلام. لاحظ الجميع مدى انزعاجه. بادره أحدُهم بالسؤال:

- خير أبو صطيف؟ أيش بك؟

قال: أشو هالحالة؟ ما عم تشوفوا هالمهازل؟ بعد كل شي صار، وبعدما سَقَّطوا حكم العسكر، رجع كل شي متلما كان. وابن الحرام اللي عندا مترشح ولا كأنو في شي.

جلس قليلاً. وجد أن الجمع صامت. سألهم: خير؟ أشو في؟ ليش متضايقين؟

لم يجد جواباً. خرج.

هام صطيف على وجهه في البراري والكروم، متأملاً الطبيعة، متفكراً بما آلت إليه أحوال هذه البلاد. وفي المساء لم يجد بداً من العودة إلى البيت. وبمجرد ما دخل أخبرته زوجته أن هناك رجالاً من الثوار يطلبونه في المضافة. استغرب ذلك. وقال لها: ما بدي روح. اليوم مريت على المضافة وما عجبتني التركيبة. حطي لنا عشا.

قالت: روح شوف أيش بهم. ولاحق على الأكل.

في البداية رفض، ولكنه، كالعادة، أذعن.

وصل المضافة. وجد مجموعة من وجهاء القرية مع بعض العسكريين برتب مختلفة: «إمام»، و«شيخ»، و«حجي»... كانوا يتفرجون على الاخبارية السورية.. نهض الشيخ ورحب به ودعاه للجلوس قربه. وبدأ الحديث:

- يا أبو صطيف، بدنا ننتخب مجلس محلي لإدارة أمور المنطقة.

قال أبو صطيف: على خيرة الله. انتخبوا.

قال الشيخ: وبدنا إياك ترشح حالك!

استغرب أبو صطيف هذا الطلب، واستفسر عن سبب طلبهم منه ذلك. تدخل الإمام وقال: أبو صطيف أنت رجل شهم وشجاع، وكنت في الثورة من الأول. ومتلما بتعرف، (الثورة لمن سَبَق).

رد أبو صطيف: ولمن صَدَق.

احتدم الجدل بين الحضور بنفس الموضوع. لمن سَبَق أم لمن صَدَق؟ قاطع سيادة الإمام الجمع وقال: نحن بحاجة أنك تترشح، وعم نطلب منك هالشي.

سأله أبو صطيف: طيب كم واحد بدو يترشح؟ وكم واحد بدو ينجح؟

أجابه الشيخ «المجند» بأن عدد المرشحين أربعة، اثنان من قريتين مجاورتين إضافة إلى «الحجي» قائد الكتيبة، وسوف يتم انتخاب واحد ليكون رئيس المجلس ثم يقوم هو بتعيين الآخرين..

صاح أبو صطيف: اوووووف ف، طيب ليش ننتخب واحد بس وهو يعين الباقي؟ لازم الكل يكونوا منتخبين، وبعدين هني بيحطوا خطة عمل..

نظر الإمام إليه بحدة، وأمسك بلحيته، وقال بصوت قوي جاد:

- الوضع لا يسمح بذلك، «المرحلة» تتطلب الحسم السريع، وقيادة واحدة. أنت مانك شايف أيش عم بيساوي النظام؟

ارتفع ضغط أبو صطيف، وعلا صوته:

- ببوس إيديكم لا حدا يجيب لي سيرة «المرحلة». صار لنا خمسين سنة عم نسمع هالكلمة، أيش استفدنا؟

تدخل أحد وجهاء القرية وقال: معك يومين للتفكير، بس لازم تعرف أن هالأمر فيه فائدة لأهل بلدك...

عاد أبو صطيف إلى منزله. استقبلته زوجته عند الباب، وبدأت ترش الأسئلة والاستفسارات. أخبرها بالقصة. علت وجهها ابتسامة. وقالت له: إيه؟ وأنت ايش قررت؟

تمتم أبو صطيف. يعني أنا!!!...

لم تدعه يكمل، خطفت الكباية من راس الماعون: أوعى تقول لي إنك ما وافقت أو ما بدك توافق. يا ابن عمي الفرصة أجت على رجليها، وانت لازم تاخد حقك، وووووو...

أراد أن يشرح لها موقفه. ولكنها لم تصغ إليه. قالت: خلاص. بكرا بتقدم طلب ترشيحك وبتوافق.

توسعت حدقتا عينيه، وهَمَّ بالكلام. أعطته كاساً من الماء، وغادرت مسرعة إلى المطبخ لأجل تحضير العشاء.

استيقظ صباحاً بعدما أمضى ليلة حمراء مع أم صطيف. ومن دون أن يتناول فطوره ذهب إلى المضافة لكي يقدم طلب ترشحه. المفاجأة أنهم أخبروه أن تقديم الطلبات يجب أن يكون في مقر قيادة الكتيبة حصراً...

لم يعجبه ذلك، وبدأ الشك يساوره: شامم ريحة مو طيبة. هدول ما بدهم يتعلموا أو يتغيروا. معقول أروح أقدم طلب عند منافسي وأنا أعزل وهو مسلح؟

فكر بالعودة. ولكنه تابع طريقه تحسباً من نقيق أم صطيف، وملامتها، ثم بدأ يلوم نفسه قائلاً: ظنينا بالجماعة سوء. إن الظن إثم...

وصل المقر، وأخبرهم بسبب قدومه. طلبوا منه تقديم أوراقه الشخصية. وأعلموه بأن الرد سيكون بعد يومين.

ههنا قتلت مع أبو صطيف، وصاح: وليش لك خاي؟

أجابه العسكري بأنهم سوف يرسلون الطلب للتدقيق الأمني.

جن جنون أبو صطيف، وصاح: عطيني الأوراق. ما عاد بقى بدي. خلص. ولك مين إنتوا حتى تدققوا علي أمنياً؟ لا يكون بدي اترشح لانتخابات مجلس الشعب وما عندي خبر؟ ولا مفكرين حالكم فرع الأمن السياسي؟

سحب أوراقه وهم بالخروج، وإذا بأحدهم يصيح: وصل «المعلم».

انتظر، وقف الجميع باستعداد. دخل «الحجي» قائد الكتيبة. سلم على أبي صطيف وسأل عن سبب الصياح. أخبروه بالقصة. طلب من أبي صطيف موافاته لمكتبه بعد ربع ساعة.

دخل أبو صطيف مكتب «الحجي- المعلم الكبير» استقبله بحفاوة وقال له: ليش هالفوضى اللي عاملها؟ شو يلي زاعجك؟

انبحت أبو صطيف وقال له: الظاهر عم تتفرجوا على قناة «الدنيا»؟ إنتوا عم تقلدوا النظام بكل شي. حتى بالانتخابات. انتوا جزء من شي فرع أمن؟ أخي هاي ثورتنا، ونحن ما قمنا من شان هيك. خربت البلد وما استفدنا شي. كأنك يا أبو زيد ما غزيت...

قاطعه «الحجي» غاضباً: ولاه شوباك فلتت متل الكر؟ ولاه «قرد»... (الحجي خادم عسكرية في الشرطة العسكرية فطلعت معه كلمة «قرد» عفوياً!) إن شاء الله مفكر الانتخابات حقيقية؟ نحن جبناك بس لتكون واجهة، أنا لازم أكون رئيس المجلس. ولعلمك أنا من أوائل اللي شالوا السلاح، وأنا اللي ودافعت عنكم، ولولاي كنتوا تنعمتوا بهالحرية.

المهم، بعدما سرد «الحجي» بطولاته، وأعلن صراحة أن رئاسة المجلس من حقه، مبرراً ذلك بضرورات «المرحلة» أنهى اللقاء مهدداً ومتوعداً.

خرج أبو صطيف مسرعاً باتجاه منزله والغيظ يملأ كامل وجهه. دخل. ركضت أم صطيف مستبشرة وقالت له: بشرني. نقول مبروك؟

نظر إليها نظرة حادة وقال:

- لعلمك أن أكتر شغلة بتنبعص منها المَرَا لما جوزا بيتجوز عليها وبيسكن الضرة في نفس البيت. ومع إني أنا بحبك، وبكره تعدد الزوجات، قسماً بالله إذا بتضيفي حرف لحتى إتزوج عليكي وسكن مرتي التانية هون، مو هون بالغرفة اللي جنب الباب، لا، إلا سكنا بغرفتك، وعلى تختك!

شي ضَرَب.. شي قَتَل

تكتبها: نورا دمشقية

يوم استشهاد «الباسل» ابن جيران خالتي

١- عندما مات باسل الأسد، ولسبب استخباراتي، أمني، بحت، تَقَرَّرَ ألا يعرف أحدٌ بهذا المصاب الجلل، ولكن، ولسوء حظ بيت الأسد، وصل الخبر إلى خالتي، وقررت أن تُشْرِكَ أمي بمعرفة السر...

خالتي شغلت عقلها، وهي واثقة من ذكاء أمي، حملت سماعة التلفون بيد مرتجفة وجبين نديان، ودقت الرقم بقلب خافق.

كان يوم جمعة، وكنا على أبواب العطلة الانتصافية، وبيننا اتفاق مسبق على الذهاب في مشوار مشترك.

ردت ماما على التلفون وسمعت صوت خالتي في الطرف الثاني واطئاً ومرتجفاً على غير العادة.

خالتي: ما في موعد بيننا اليوم، التغى المشوار.

ماما: ليش خير؟ شو في؟

خالتي: مو بتعرفي ابن جيران بيت أهلك يلي بالطابق الأرضي؟ أصغر واحد فيهم... لا تقولي اسمه. الشاب اللي اسمه باسل.

ماما : أي؟

خالتي: راح لعند أبوكي. (أبو هما، يعني جدي، متوفى).

ماما:...

خالتي: بغض النظر عن أن الشاب- الله يحميه ويخليه لأهله- طيب، وحباب، وآدمي، بس لو كان الخبر عنه صحيح ما في داعي لكل هالسرية... قصدي الباسل، يلي «راح لعند أبوكي»، هو شخص مهم صحيح، بس خبر الموت ما بيتخبى.

هذه المحادثة الصغيرة كانت نقطة تحول كبيرة فيما يتعلق بمستقبل سورية لأن «ابن جيران بيت ستي الصغير» كان مهيأ ليكون امتداداً للسياسة الباطنية التي يمارسها العراب..

***

٢- العم أبو ضياء زلمة كسيب على باب الله، متل كل أبناء هذا الشعب، يودع يوماً معتراً ليستقبل يوماً أعتر منه، وأدق رقبة. ورغم هيك، ربى بناته السبعة «كل شبر بندر» حتى رزقه رب العالمين بصبي سماه ضياء، لأنه ضَوَّا له حياته بعد كل الظلم والظلام، وما شافه صار صف ثالث إلا لنشفت عيونه.

«ضيا» تعود على أن يأخذه أبوه مع بقية الأسرة، في كل عطلة انتصافية، «سيران» من الصبح للمسا بالغوطة، يعملوا مشاوي ويلعبوا بين الأشجار، وعمي أبو ضيا ما خيب ظن ابنه الوحيد... حط العيال في السيارة وجهز اللحمة الطرية اللي كلها فتايل، وتبلها كباب وشقف وجابوا أغراض السلطة وشوية فواكي الموسم الظريفة وعالأربعة وعشرين قيراط وطلعوا والفرحة عامرة قلوبهم... وصلوا عالغوطة ومدوا المَدّة، وشعلوا المنقل وبلش فرم السلطة والذي منه، وما شافوا غير أجا قاتل الأفراح وهادم الملذات. زلمة بملامح قاسية وعيون خبيثة وتياب وسخة بس أكيد أنظف من قلبه الأسود. لف دورتين حول العيلة من بعيد، ورمقهم بنظرة حاقدة مليانة غضب، وبعدين شاور للعم أبو ضيا بإصبعه ليحكي معه.

كان صعب أي حدا يسمع الحوار، بس تعابير وجه أبو ضياء ما بتخلي مجال كبير للتساؤل. خلصت المحادثة بعد دقايق طويلة كتير ورجع أبو ضيا ضب الأغراض وحمل العيلة بالسيارة وانطلق. وبقي سر هالمحادثة دفين جوا قلبه العميق المكسور. الجملة الوحيدة يلي طلعت منه هي:

- ليش ما قلتوا لي إنو باسل الاسد ابن الرئيس مات؟!

***

٣- بابا، بدوره، وبعد المحادثة الهاتفية الخطيرة بين ماما وخالتي عن وفاة «ابن جيران بيت جدي»، كان عنده الحكمة وبعد النظر الكافيين حتى ما يتصرف هيك تصرف أرعن وغير مسؤول، فكان احتمال المشوار أو السيران بهيك ظروف عصيبة احتمال ملغي، بل ومستحيل، وبهيك كانت عطلتي الانتصافية لهالسنة حبيسة حيطان البيت.

العم أبو ضيا، وكتير من الشعب، كان ما بيهمهم كتير خبر وفاة ابن الرئيس، يلي ما حدا بيعرف عنه شي غير اسمه، خاصة وإنو حقيقة مهمة متل كونه ديكتاتور سورية المستقبلي والوريث الغير شرعي لحكم أبوه كانت حقيقة باطنية مخفية عن الجميع، فما أدركوا خطورة هيك حادثة، لكن الجو المشحون والطاقة السلبية كانت بالجو، وعملية الانتقام لفقد «الشهيد» الغالي ابن الغالي كانت من نصيب الشعب المعتر، حتى لو استغرقت عملية الانتقام عشرين سنة وكلفت مئات الآلاف من الشهداء وعشرات آلاف المعتقلين وتدمير البلد عن بكرة أبيها.

سجلات القادة التاريخيين

الواوي

ثلوج الراموسة واستفتاء الرئاسة

كنا نخدم عسكريتنا في منطقة تدعى «الراموسة» بضواحي مدينة حلب الجنوبية،... دورتُنا تحمل الرقم أربعة وستين- دفاع جوي.

ذات شتاء قارس.. كان الثلج يرتفع نحو ثلاثين سنتيمتراً فوق الأرض، والبرد يتغلغل في نقي عظامنا حتى يكاد يفتك بنا، دخل سيادة الرائد «وفيق» غرفته المحصنة من البرد بمدفأة مملوءة حتى النخاع بمازوت دبابات الشيلكا بعد أن أمضى ثلاث ساعات في تقليب الدورة أربعة وستين على «جمار» ثلج الراموسة، رغم «الأجواء الوطنية» والأفراح الغامرة التي يحياها قطرنا الصامد بمناسبة تجديد «البيعة» للقائد التاريخي حافظ الأسد.

يثب لهيب المدفأة الأزرق على جدران غرفة الرائد، ويخرج ألسنته من النافذة ليراها عناصر الدورة الواقفون باستعداد تحت سارية علم كسول لم يردّ- «أعني العَلَم»- تحيةَ الدورة ولو بخلجة بسيطة، وإنما تدلى كخرقة مبتلة بالماء البارد على ساريته الصدئة.

خلع الرائد وفيق ثيابه وبقي بألبسته الداخلية بعد أن ضايقه «حر» المدفأة، وذهب في إغفاءة لذيذة.

كان أول المتحركين من الباحة نحو المبنى هو التلميذ «مصطفى مظلوم» المصاب بفتاق سري، المطوق بهالة من الضحك أهَّلَتْهُ لنيل لقب «عيواظ».

أشار «عيواظ» بيده إلى عناصر الدورة، وسبقهم بالهجوم على غرفة الرائد وفيق، والشباب، عناصر الدورة، تبعوه، بدون استثناء.

اقتحموا الغرفة، وأخذوه، بسريره، وبملابسه الداخلية، إلى الساحة الصغيرة أمام «الندوة».

حملت ثلة من التلاميذ سرير الرائد وفيق، وهو يجلس فوقه محاولاً اتقاء البرد بيديه، أما بقية أفراد الدورة فكانوا يصيحون بجنون:

- بالروح بالدم نفديك يا حافظ.

ويدورون بحس «وطني» متفجر حول السرير المرفوع إلى الأعلى.

نهشَ البرد جسد الرائد العاري ولم تنفع محاولاته البائسة في لف ذراعيه حول جسده في اتقاء الهواء الذي يلسع كالسوط، ولم ينفعه النداء «الوطني» الذي يردده التلاميذ وهم يتحركون بنشاط هرباً من السياط ذاتها التي تلسع «رائدهم». ولم تُجْدِ «الأجواءُ الوطنية» العارمة التي يحياها الشعبُ فتيلاً في مواجهة الزمهرير.

كانت اللطخات الزرقاء تزين جسد الرائد وفيق من قبة رأسه حتى كعب قدميه، وجسده يهتز بحركات بندولية عنيفة، وفكه السفلي يصطدم بعنف بفكه العلوي محدثاً قرقعة وطقطقة، والعرق ينز بغزارة من أجساد عناصر الدورة رقم أربعة وستين، بينما كان تلفزيون الندوة ذو الصوت المرتفع يقول على لسان مهران يوسف، ببرود قاتل مأجور، إن السيد الرئيس المناضل حافظ الأسد قد فاز بنتيجة الاستفتاء الشعبي بنسبة مقدارها «تسعة وتسعون فاصلة سبعة وتسعين بالمائة» فقط لا غير!

سجلات القادة التاريخيين

خطيب بدلة

(بالتعاون مع زمان الوصل)

نار... كرمى لعيونك يا بشار

فجأة، بدأ إطلاقُ النار يخترق هدوء المدينة.

هذه المدينة هي مركز إحدى المحافظات التي خَلَتْ، بعون الله، من الإرهاب والإرهابيين منذ أن سيطرتْ عليها قواتُ الرئيس المفدى، رمز الوحدة الوطنية، الرفيق، الدكتور، الفريق الركن، بشار حافظ الأسد.

اعتاد أفراد أسرة «أبي صطيف» أن يمارسوا حياتهم اليومية، وينعموا بالأمان والاطمئنان منذ أن تحررتْ مدينتهم من الإرهاب. وحينما استعرَ الأزيز أخذوا ينظرون في وجوه بعضهم البعض، دون خوف طبعاً، ولكنهم شرعوا يتساءلون عن السبب المحتمل لهذا المرشاق الناري المفاجئ. والأسباب كثيرة عند هؤلاء القوم، في هذه المدينة بالذات.

مثلاً، إذا تمكنت مجموعة باسلةٌ من قواتِ جيشنا العربي السوري المظفر- في أية محافظة من محافظات هذا القطر العربي الصامد، لا على التعيين- مِنْ نَصْبِ كمين للجماعات الإرهابية المسلحة المدعومة من القوتين العالميتين الكبيرتين «الإمبريالية والرجعية»، وقتلتْ وجرحتْ كلَّ أعضاء الجماعة، وبضمنهم الإرهابيون القادمون من ليبيا وبريطانيا والشيشان وأفغانستان وتونس، وغنمَتْ آلياتِهم المدرعةَ وبنادقَهم ورشاشاتهم وعربات الدوشكا الخاصة بهم،... يصلُ هذا الخبرُ الجميلُ إلى عناصر اللجان الشعبية الساهرين على أمن هذه المدينة (الذين يُعرفون اصطلاحاً باسم: الشبيحة)، فيفرحون و«يصطهجون» إلى درجة أن أصابعهم تخرج عن سيطرة عقولهم، ويبدؤون بإطلاق الرصاص في الهواء، مع أن هذا الرصاص مخصص لقتل الإرهابيين الحقيرين.

وإذا قُطِعَت الكهرباء عن المدينة يَعْرِفُ هؤلاء الشبيحةُ الأكارم أن سبب الـ «قَطْع» هو «قَطْعُ» الطريق على الإرهابيين الذين كانوا يستعدون في هذه اللحظة لقصف المدينة الآمنة بالمدفعية والصواريخ، بقصد إعماء أبصارهم عن الأهداف المحددة.. وتمضي ست ساعات، أو عشر ساعات، أو عشرون ساعة، والمدينة لا تُقْصَفُ، فيفرح السادة الشبيحة ويعبرون عن فرحهم بإطلاق الرصاص في الهواء.

والشيء الطبيعي هو أن يطلقوا الرصاص في الهواء حينما يعود التيار الكهربائي إلى المدينة، بعد أن تنجو من حقد الجماعات الإرهابية المسلحة، أو حينما تعود المياه إلى الجريان في الحنفيات بعد تسعة أو عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً من الانقطاع المتواصل.

ولكن إطلاق النار، هذه المرة، لم يكن شبيهاً بإطلاق النار الذي كان يحصل في كل واحدة من المرات السابقة.

ففي العادة أن يتناوب على إطلاق النار عددٌ من الإخوة الشبيحة يتراوحون بين العشرة والثلاثين، والأربعين في الحد الأقصى، بينما العدد، هذه المرة، لا يمكن تقديرُه، أو تخيلُه، فهو يقدر بالمئات بل بالألوف، ولا يقتصر على الكلاشينكوفات بل إنه يحصل بمشاركة الرشاشات الثقيلة والمتوسطة. وهو لم يكن عبارة عن رشقات احتفالية متفرقة، وإنما غزيرٌ، ومتشابك، ومتواتر، لا يتوقف إلا في لحظات تغيير المخازن، وحينما احتدم، وتعاظم، أصبحت الأسرة تسمع أصوات رصاصات تصطدم بسقائف الدكاكين، وبعضها تقع على النوافذ، فتسمع أصوات تكسر الزجاج، مما دفع أفراد الأسرة إلى الركض، بذعر، إلى الممرات والحمامات والسقائف، وبعد قليل راحوا يتبادلون المقترحات، من مكامنهم، حول ضرورة النزول إلى القبو الذي كان يسكنه جارُهم الإرهابي المجرم الذي خرج ليتأمر على الأمان والاستقرار واللحمة الوطنية في سورية متذرعاً بأنه يريد الحرية! فـ «دعسته» قوات الرفيق المناضل رمز الوحدة الوطنية الدكتور بشار حافظ الأسد في بداية المؤامرة، وأجبرت أسرته على الرحيل، ثم خصصت القبو للمجموعة رقم ١٨ من اللجان الشعبية لتأوي إليه في فترات استراحتها من ملاحقة فلول الجماعات الإرهابية المسلحة، وقد اعتادت المجموعة ١٨ على ترك باب القبو مفتوحاً لمن شاء أن يدخله فيصبح في أمان كما لو أنه في بيت أبي سفيان الأموي القرشي الكناني.

أخيراً. تمكن الابن الأصغر في أسرة أبي صطيف الذي يلقبونه بـ «السلال» من حَل اللغز. ذلك أنه استطاع أن يشغل الآيباد الذي حصل عليه بفضل عمليات التطوير والتحديث التي قادها الرئيس بشار الأسد منذ سنة ٢٠٠٠، وتمكن من الدخول إلى الإنترنت، من خلال بقايا الـ «جيجا» التي عبأها قبل أيام... وزف البشرى للأسرة، بأن هذا المرشاق الناري الكبير، يشمل جميع المحافظات والمدن السورية التي تنعم بالأمن والأمان والاستقرار بعد أن بسط جيشنا العربي السوري الباسل سيطرته عليها، وخلصها من الجماعات المسلحة المتآمرة، ومناسبته فوز القائد التاريخي بشار حافظ الأسد في الانتخابات الحامية الوطيس التي استطاع خلالها السيد ماهر حجار أن «يحصد» ٣٧٧ ألف صوتاً، وحسان النوري نصف مليون صوت، ولم يحصل بشار على ١١ مليون صوت إلا بشق الأنفس.. مما أفرح هؤلاء الشبيحة الأكارم فأقاموا هذه الحفلة النارية المباركة.

مختصون بكش الملوك

مختصون بكش الملوك

لؤلؤة الرواية السورية

سوسن جميل حسن

صوّتت لـ... رويدة عطية

منذ أن بدأت حملة الدعاية الانتخابية الأولى في تاريخ سوريا الحديث، وأقصد بالحديث هنا الخمسين سنة الأخيرة، وهناك سؤال يؤرقني، بل ويقض مضجعي، وأنا إنسانة عندي مشكلة مع النوم.
السبب، على ما أخمّن، هو بقايا خوف مزروع في أعماقي، أنا المواطنة السورية التي نشأت وترعرعت تحت سماء الحزب الواحد قائد الدولة والمجتمع ونهلت من ينبوع فكر القائد الذي لا ينضب، وثبّت إيماني بكل ما يصدر عن هذه السماء مباركةُ رجال الدين لها ولأمطارها الخيرة، التي استنبتت من بواطننا بذور الانتماء للوطن، فأزهرت مقاومة وممانعة جعلت فرائص العدو الصهيوني ترتعد بكرة وأصيلاً طيلة هذه السنين.
السؤال هو: ما معنى أن يكون للمواطن حق؟ هذا الجزء الأول. أما الجزء الثاني فهو: ما معني أن يكون له صوت؟ يعني بالعامية: شو يعني تصويت وانتخاب؟ هذا الحق البسيط الذي هو حق طبيعي فطري، بل هو سمة إنسانية، قبل أن تقره المواثيق الدولية، وتوافق عليه معظم الدول، حق بديهي لا يمكن التغاضي عنه، هو أحد عناوين الحرية، حرية الإرادة واستقلالية القرار، نحن تعودنا منذ نعومة أظفارنا على الاستفتاء، وكان يا ما أحلى هديك الأيام، لما كنا مرفهين لدرجة أنو العيلة كلها ويمكن الحارة تبعت هوياتها بلا ما حدا يتعطل عن شغله... المهم ينبعت الصوت حامل «نعم» قوية صارخة ضاجة تهتز لها أركان المعمورة.
كان الشعب بكامله، بأنصع صورة عن اللحمة الوطنية، يصنع النتيجة المذهلة: ٩٩،٩٩٩٪، والتغاضي عن النسبة المفقودة «٠،٠٠١٪» مقبول لأن الخطأ النسبي قانون علمي، ونحن بلد علمي وعَلْماني بامتياز.
رحت أستعرض ذكرياتي منذ سنين الطفولة، وكنت عم حاول نحّي الحنين وأبعده لأجل البحث الموضوعي عن المعنى، شفت حالي وأنا صغيرة بين رفيقاتي بالصف لما المعلمة تسأل السؤال ونهب كلّنا نصرخ ونعلي أصواتنا بإجابات مختلفة، ولما «تخرّسنا» المعلمة بصوت قوي وتطلب منا نحكي كل وحدة لوحدها، كنا نخرس عن جد لأنه نخاف من صوتنا، ونخاف من رأينا ومن عملية التفكير بحد ذاتها. كان يصيبنا رعب من فكرة الفردية، الواحدة منا تحس حالها بالعراء إذا اكتشفت أن صوتها رح ينسمع لوحده، مو غريبة.. تعودنا نكون كتلة بشرية بكل شيء، من الصبح نظام منضم، ترادف، ترديد شعارات جوفاء بلا ما نعرف معناها، ثم في الحصص الدرسية تعلمنا كيف نتلقى كل المعلومات على أنها مسلمات لازم نحفظها بصم. كانوا بين البيت والمدرسة والعمل يصنعون منا نماذج تتحرك وفق قانون بافلوف، لهيك كان الصوت المفرد يصيبنا بالهلع، وهيك ممثلينا بمجلس الشعب كمان: بيصفقوا مع بعض، وبيعترضوا، إذا اعترضوا مع بعض، وبيهتفوا مع بعض، وما حدا بيسمع صوت مفرد إلا في بعض الحالات النادرة التي يتم فيها مناقشة قضية حيوية أو مصيرية، متل لما اختلفوا على شرف اللغة العربية بين «فلاحين» و«فلاحون» بالوقت اللي كان فيه الشعب السوري يتعرض للإبادة.
فجأة بيرمونا في الاختبار الأخطر: الانتخاب على وقع احتفالات العرس الديموقراطي المسبوق بمبارزة حامية الوطيس بين أعداد كبيرة من المتنافسين اللي ما وصل منهم غير تلاتة إلى التصفيات النهائية؟
أمام هذا الحراك الانتخابي السوري، الذي ترتفع فيه الأعلام وصور مرشح وحيد، وتزدان الشوارع بلافتات تعد مرشحها الوحيد بأن تكون معه وتعاهده وتبايعه بالدم وتخاطبه بالمفدّى وبعضها يحمل كلمة: مبروك ساطعة مزدانة تومض للبعيد، قبل أن يبدأ العرس، وتجري الاحتفالات في الساحات العامة وتقطع الشوارع بسببها غير عابئة بما ينعكس على حياة الناس من هذه الإجراءات، حيث بأبسط صورة، لا يمكن لسيارة إسعاف تحمل مريضاً بحاجة الدقيقة لإنقاذ حياته، أن تصل إلى أقرب مستشفى، أمام هذا الحراك الذي يوصف بالعرس الانتخابي، يرتبك المواطن السوري وهو يعاين صوته قبل مرشحه، يخاف أن يبوح لنفسه بأن هواه يميل نحو مرشح آخر، يخاف أن يتساءل في سره عن جدوى الانتخاب في واقع كواقعنا الراهن، وقد يخاف من مجرد التفكير بواقع بديل في دخيلته.
لكن صديقتي التي أسرت لي بموقفها أعجبتني بشجاعتها الفريدة في وقت عصيب كهذا، قالت لي (بالحرف الواحد): بدي روح صوّت لمرشحي المقتنعة فيه لو ما حدا انتخبوا بسورية غيري. بدي مارس حقي وعيش تجربة أن يكون إلي صوتي الحر مرة وحدة، ما بتصدقي لمّا صوّتت وانتخبت مرة وحيدة بحياتي أديش كنت فرحانة بالتجربة. ولما سألتها وأنا أشكك بذاكرتي الخوّانة لما ما عرفت إيمتى صار بسورية الحديثة انتخاب، إيمتى انتخبت ولمين أعطيت صوتك، قالتلي: صوتت لرويدة عطية لما وصلت لنهائيات سوبر ستار. كلفتني الـ s.m.s وقتها ٢٥ ليرة، بس والله تجربة بتستاهل.

مدونات الحصير والحشاشة

مدونات الحمير والحشاشة

يكتبها: مسطول
أصلي أبو طعجة

عندما خرج الدخانُ من مؤخرتي

الآن أصبحتُ بخير، والحمد لله.
فلقد مضى عليَّ حينٌ من الدهر وأنا مضطرب، ومكركب، ولا أعرف أيهما عيناي وأيهما خصيتاي!... وحتى سيكارة الحشيش المباركة المختصة بتسكين الآلام والمواجع وترطيب جراح النكد ما عدتُ أعرف كيف أمسكُها، وكيف أمجُّ منها، فمرة أُشعلُها من تحت، ومرة من طرفها، ومرة من وسطها،... وفي إحدى المرات شفطتُ منها شفطة طويلة، وحَبَسْتُها، لكي أستمخَّ بها، وإذا بابني الصغير الجني يقول لي: بابا بابا.. شوف شوف، شوف أيش صار!
قلت له: وضريب في قلبك ولاك ابن الكلب. رَعَّبْتني. أيش صار؟
قال: الدخنة عم تطلع من وراك!!!...
فضحكتُ وتذكرتُ حكايةً رُويت عن إثنين من رواد الشعر العمودي أرادا أن يَسخرا من الشعر الحديث، فقال الأول إن الشعر الحديث- بلا تشابيه ومثال- كما لو أن ولداً غير بالغ «يسخمك»! فلا هو يستلذ، ولا أنت تستلذ.
فقال الثاني: لا لا لا. القصة وما فيها، يا صاحبي، أننا نحن قد اتَّسَعْنا أكثر من اللازم!
والحقيقة هي أننا، كلنا، وبنسب متفاوتة، بدأنا نتسع. فيوم أن استجاب أهلُ درعا، الله يسامحهم، لنداء المؤامرة التي حيكتْ ودُبِّرَتْ بين أطراف عالمية وإقليمية، برعاية صهيونية، لأجل الإطاحة برئيس البلاد المقاوم الممانع الدكتور بشار حافظ الأسد، جاؤوا بدولارات «بندر بن سلطان» وصرفوها إلى رزم من الليرات السورية ووضعوها في الجامع العمري، وصاروا ينادون على الناس بمكبرات الصوت لأن يهرعوا إلى الجامع «العمري» ويستلموا الأسلحة، ويأخذوا أجرة تآمرهم سلفاً.
وكان خطيب الجامع العمري الشيخ أحمد الصياصنة في سن الرجل الذي يسعل ويضرط، ومع ذلك هو يعرف، حق المعرفة، أن أكثر مسألة تهتم لها قيادتُنا التاريخية الحكيمة هي مسألة العِرْض، وأن ضباط الجيش العربي السوري أناسٌ محافظون، متعصبون، بل ومتزمتون، أكثر شيء يهمهم في هذه الحياة هو الشرف، والسترة، والسمعة الحسنة، يُصَلُّون في الأسحار والأصباح ويبوسون الأرض ويتضرعون لله تعالى أن يوحي إلى الهواء ألا يهب على نسائهم فيجعل أغطية وجوهن وبراقعهن تتزحزح من مكانها لئلا يؤثِّرَ هذا على أعراضهم، ويضطرهم لتنكيس العقالات، (عفواً: القبعات العسكرية) من شدة العيب والعار والخجل. فما كان من ذلك الشيخ اللئيم إلا أن استدعى رفيقه في «الغزوات النسائية» الفتى غير البالغ حمزة الخطيب قائلاً له:
- لا يوجد لدينا حل مع هذا الجيش الصامد غير أن نمرغ شرف ضباطه بالتراب، فتعالَ نغزُ نساءهم، ونغتصبهنَّ، والاتكال على الله.
ولكن يقظة قواتنا المسلحة الباسلة الساهرة على أمن الوطن والمواطنين كانت لهذين الكائنين بالمرصاد، فاعتقلتهما، وجعلت الشيخ الصياصنة يعترف على رؤوس الأشهاد بما كان ينوي فعله- مع رفيقه حمزة الخطيب- بنساء الضباط المسكينات. وأرشد قوات الأمن الباسلة ومراسل قناة «الدنيا» إلى مكان وجود أسلحة «بندر»، وأمواله التآمرية في إحدى غرف الجامع.
إن ما كركبني، وأزعجني، وجعلني أتشاجر مع ذباب وجهي، أيها القراء الكشملكيون الأكارم، لا يتعلق بعَنِين هذه الذكريات على بالي، ولكنني، بصراحة، أمقتُ الفترات الانتقالية التي تمر بها بلادنا، ففي سابق السنين والأيام، كنا، أنا وزملائي الحشاشون الكرام، ننتظر حتى يحين موعد الاستفتاء الرئاسي، لنخرج إلى البراري، والكروم، والبساتين، مزودين بعدة شوي اللحوم، وعدة السلطة، والأراكيل، ونُمضي النهار كله على أكل وشرب وضحك وتحشيش وتنتيش وأكل هوا، و«عندما يأتي المساء»- على قولة المرحوم محمد عبد الوهاب- كنا نعود إلى البلد، وننضم إلى أقرب حلقة دبكة ونشفي غليلنا بالرقص والدبيك والنخ، ونعود إلى بيوتنا مبسوطين مسرورين لأن مشيئة الله تعالى حفظت لنا رئيسنا ولا كأن في البلد استفتاء أو انتخاباً أو بطيخاً مبسمراً... وأما الآن فقد أمضيناها على خوف، وقلق، وترقب، و«رعبات»، لأن مرشحي الرئاسة المنافسين للرفيق الدكتور بشار، الدكتور ماهر حجار، والأستاذ حسان النوري، زعيمان حقيقيان معروفان في سورية، ولم يكن مستبعداً أن يستقطب أحدهما الجماهير الكادحة فينجح، ويعمل لنا «في الرز بصل»..
لهذا كله، حينما تم تجاوز الأزمة، وفاز مرشحنا الدكتور بشار، هرعنا جميعاً لإطلاق النار في الهواء... ولكن، هل شفى هذا كله غليلي؟ أبداً. إن ما أراحني، حقيقة، على الآخر، هو أن الرصاص الذي أطلقناه في الهواء، قد أدى إلى مقتل بضعة مواطنين محتفلين مثلنا بهذا الفوز الصعب للرئيس. ههنا شعرت بالارتياح الشديد، وسحبتُ سحبة طويلة، هي نفس السحبة التي رآها ابني وهي تخرج من مؤخرتي. وقلت لنفسي:
- ليقتل من يقتل ويموت من يموت. لصرمايتي. فداء لعيونك يا أبو حافظ!

شوية حيطان وسقف

شوية حيطان وسقف

دَهَب «كش ملك» العتيق الجديد:

راتب شعبو

سجين جواز السفر

ذلك الكوريدور الطويل ذو السقف العالي الذي يحده من الشرق مهاجع السجناء السياسيين ومن الغرب يفصله عن العالم حائط كتيم من الإسمنت المسلح، ذلك الكوريدور الذي يبدأ بباب حديدي ضخم يفصله عن مفرزة الشرطة وتستقر عليه بهدوء تام صورة «الفارس الذهبي»، وينتهي بباب حديدي مشابه، ولكنه لا يحمل أي صورة، يفصله عن المطعم الذي يمارس فيه السجناء الأكل، ذلك الكوريدور كان المكان الذي احتضن اللحظات الأولى لولادة رعب لا قرار له في نفس أبي أحمد.

أبو أحمد هذا، الذي لن ينسى طوال حياته لحظات الرعب تلك، هو رئيس مخفر في إحدى قرى إدلب، أو للدقة، يجب أن نقول إنه «كان» رئيس مخفر في إحدى قرى إدلب، قبل أن تأمره نفسه بالسوء ويغريه الطمع فيقبل أن يخالف القانون ويتساهل في تزوير جواز سفر مقابل مبلغ من المال، الأمر الذي أوصله إلى سجن دمشق المركزي، وتحديداً إلى جناح السياسيين فيه.

لم يتمكن أبو أحمد من استيعاب هذه الحال الجديدة رغم أن عناصر الشرطة لم يقصروا في إظهار معاملة تمييزية له على اعتباره من نفس السلك، حتى إن أبا حسين، رئيس المفرزة، سمح له أن يستلم طعامه من المطعم وأن يأكل في المهجع. وهذا كان في حينها امتيازاً لا يحصل عليه أي كان.

لكن كل ذلك لم يكن يعني لأبي أحمد شيئاً، فمشكلته كانت في قلبه الذي يكاد ينفجر من ضغط الجدران ومن عدم قبوله أن يكون في المكان «الخطأ». كيف يمكن أن يقبل «رئيس المخفر» أن يُحشر هكذا مع هؤلاء الناس الذين يتصرفون وكأنهم خُلقوا للسجن؟ أما هو فقد خلق ليكون آمراً على مستوى عال، مستوى لا ينزل دون مستوى رئاسة المخفر.

قرفص أبو أحمد على أرض الكوريدور في أقرب نقطة إلى مفرزة الشرطة، وراح يتأمل الكائنات التي تتحرك في الكوريدور. ناس بثياب كالحة اللون يخرجون من المهاجع ويدخلون وإليها. يخرج أحدهم وفي يده علبة صغيرة مملوءة ببذر الزيتون ويختار بعناية منطقة من الكوريدور لكي يجلس ويبدأ بحفّ البذور على الحائط. يخرج اثنان وهما منهمكان في حديث بجدية بالغة وكأن مصيراً هاماً يتوقف على نتيجة حديثهما. ثم ترى رجلاً متوسط العمر يخرج ببطء ويمشي في الكوريدور جيئة وذهاباً وهو يدخن ويرسل نظراته حيناً إلى السقف وحيناً إلى الأرض، وأحياناً يلقي بزهو نظرة على نفسه. لكن أكثر ما لفت نظر أبي أحمد وزاد في غربته عن المكان الذي أُلقي فيه هو العجوز الثمانيني الذي يحمل في يده مجموعة أوراق ويدخل إلى مهجع ثم يخرج منه بعد قليل ليدخل إلى مهجع آخر وهكذا.

في الواقع كان هذا الرجل من السجناء الشيوعيين القدامى، وكان يسجل طلبات المساجين من الخضار للفاتورة القادمة. شعر أبو أحمد أنه في مكان غريب بين أناس غرباء الطبع وأنه لا يجمعه معهم شيء ولا يريد أن يجمعه معهم مكان واحد. وابتدأ يشعر بضيق من النوع الخانق.

بعد قليل اقترب منه أبو مالك، وهو من أهالي السجن القدماء ومن أبناء محافظة إدلب أيضاً. وكان أبو مالك قد عرف أن أبا أحمد من إدلب وأن تهمته هي تزوير جواز سفر.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام. (رد ابو أحمد وهو ينكمش على نفسه أكثر).

بعد دردشة طويلة اطمأن قلب أبي أحمد لأبي مالك، فبادره بالسؤال الذي يثقل على نفسه منذ حين:

- يا ترى العجوز اللي حامل وراق هونيك أشقد صارلو في السجن؟

- هادا صارلو ١٥ سنة.

- يا لطيييييييف، ١٥ سنة؟

- إي والله.

- وأشو تهمتو يو خاي؟

- هادا يا سيدي تهمتو تزوير جواز سفر!

تحولت جلسة القرفصاء للتو إلى جلوس صريح على أرضية الكوريدور، وهجمت الدموع على عيني أبي أحمد فجأة، وبينما كان أبو مالك يترك له المجال كي يسبر غور رعبه المستجد، راح أبو أحمد يجاهد كي يبتلع ريقه وهو يتأمل العجوز المنهمك في مهمته!

صحافة ساخرة

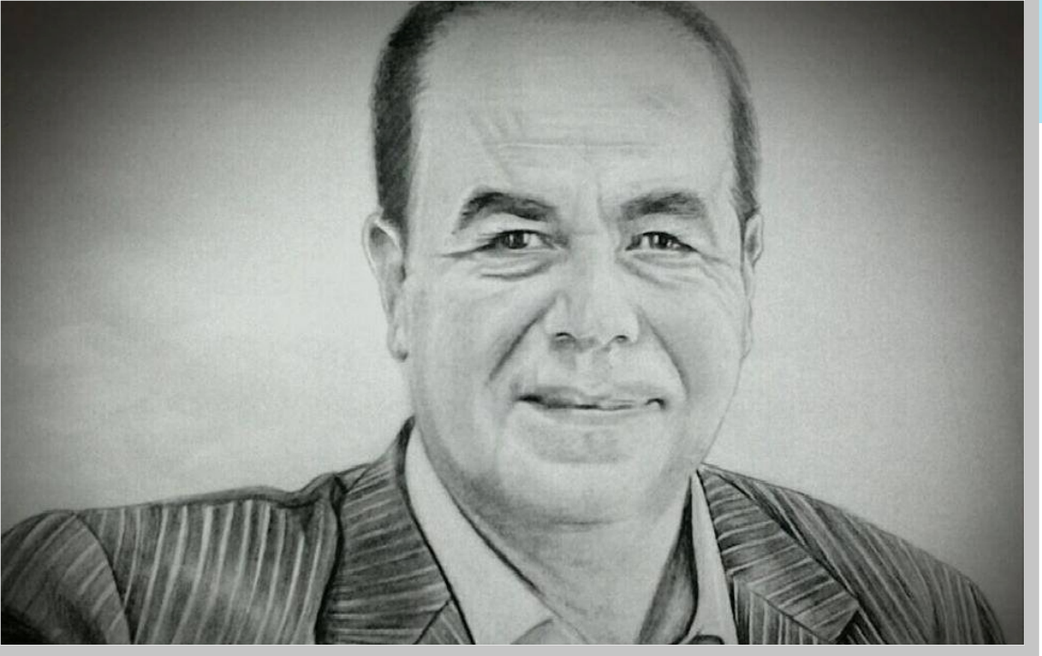

خطيب بدلة
(ملف قديم)

وقل اسكتوا.. غازي أبو عقل بيننا

ظننتُ، لأول وهلة، أنني أستطيع أن أكتب عن الأستاذ "غازي أبو عقل" بسهولة، وطلاقة، باعتبار أنني أعرفه جيداً، فبيننا عِشْرَةٌ طويلة، وصداقة متينة، ولقاءات شخصية متكررة، وأنا أخاطبه بعبارة (يا أستاذي).. ولكن، ولأنه لا يحب (الأستذة)، يقاطعني قائلاً (بلا أستاذ.. بلا بلوط!)..

لدي، على كومبيوتري، مجلد كامل يحمل عنوان (عمي غازي)، وفيه عدد كبير من مقالاته، وأشعاره الكلبية، ومعاركه التي ما فتىء يخوضها ضد الغثاثة، ويخسرها دائماً، باعتبار أن الغثاثة في المجتمعات العربية أصبحت- كما تعلمون- ذات سطوة وهيبة، وتمتلك قوات ضاربة، مؤللة، لا يمكن لألف "غازي أبو عقل" أن يغيِّرَ عليها!

الصعوبة التي اعترضتني، حينما لامستُ أزرار الكيبورد (قديماً كنت أقول: حينما أمسكتُ بالقلم.. ولكن الأقلام جفت كما تعلمون)، وفتحت ملف (word)، وهممتُ بالكتابة عن الأستاذ غازي، هي أنني خفت ألا يعجبه ما أكتب، فيزعل، ثم يسخر، فهو، على علمي، يسخر مما يخطر ببال الإنسان، ومما لا يخطر بباله، ولديه مقالة طويلة عنوانها (وقل اسخروا..!) يسخر فيها من الكتاب الساخرين المساكين أنفسهم، ويتهكم على الصفحات الساخرة المتوفرة في الصحف والمجلات العربية، ويصل، في هذه المقالة، إلى نتيجة مفادُها أن الأمة العربية كان يمكن أن توفر الكثير من الورق والحبر ورواتب الموظفين وعمال المطابع والموزعين فيما لو (كسبت القضا بالرضى)، وأقلعت صحفُها ومجلاتها عن إصدار الصفحات والملفات الساخرة!

وهو بذلك ينسجم مع فكرة أطلقها الكاتب المجري جورج مايكيش حول الأدب الساخر (والضاحك) حينما قال إن الكتابات السخيفة، المملة، التي كُتبت لغرض الإضحاك أكثر بكثير من الكتابات المسلية، الممتعة، التي كُتبت للغرض نفسه.

إن الأستاذ غازي، وإن كان يكتب، بين الفينة والفينة (كما يقول المتأدبون) مقالات صحفيةً ساخرة، لهو، في المقام الرئيسي الأول، شاعر كلبي، نسبة إلى جريدة (الكلب) التي أسسها الأديب الكبير المرحوم صدقي اسماعيل، (انطاكية ١٩٢٤–دمشق سبتمبر أيلول ١٩٧٢) ووضع لها شعاراً دائماً هو:

إن خير القراء مَنْ لا يضوجُ
ذَنَبُ الكلب دائماً معووجُ

كان صدقي يحرر جريدة (الكلب) وحده، ويصدرها في نسخة واحدة مكتوبة بخط اليد، ويزعم أن ليس لها قراء، والكل يعرف أنها كانت الجريدة الأكثر مقروئية في البلاد العربية، لأنها الوحيدة التي كانت لا تمر على مقصات الرقابة، وكاتبها يقول رأيه في أي موضوع، حتى ولو كان شائكاً، بصراحة، ومن دون لف، أو دوران، أو مواربة.. متأثراً بقول المعري:

وصفتُكَ، فابتهجتَ، وقلتَ خيراً
لتجزيَني، فأدركني ابتهاجي
إذا كان التقارُض من مُحالٍ
فأحسنُ من تمادُحِنا التهاجي

أطلق صدقي اسماعيل هذا الاسم الغريب على جريدته العجيبة- كما يذكر العم غازي في إحدى مقالاته- تيمناً بالمدرسة الفلسفية الأغريقية "الكلبية" التي يسميها بعض كتابنا اليوم السينيكية "السينيزم" المشتقة من كلمة كونوس Kunos وتعني الكلب. والكلبي بالمعنى الفلسفي القديم هو الذي يتحدى المبادئ السائدة ويعارض جذرياً الأعراف الاجتماعية، ويدَّعي الرغبة بالعيش طبقاً لقواعد الطبيعة.

وحينما انتقل صدقي للسكنى في حي (الجسر الأبيض)، غير عنوان جريدته إلى (الجسر)، ولكنه أصر على التنويه إلى أصولها الكلبية فكتب فيها:

وفاء لحارتنا قد دعونا
جريدتنا باسمها فاعلموا
وكان اسمها الكلب من قبل
ذاك ولكن مغزاه لا يُفهمُ
أليس الصحافةُ رمز النباح
وإن الكلاب به أقدمُ

في خريف سنة ١٩٧٢ غادرنا الأستاذ صدقي اسماعيل، تاركاً خلفه عشرات الأعداد المخطوطة من جريدة الكلب، وبضع معلقات شعرية (قليلون هم الذين يعرفون أن صدقي كان يكتب معلقات شعرية بلغة معاصرة فكهة أخاذة).. وتجدر الإشارة إلى أن عدداً من كتاب سورية الساخرين كانوا يساهمون (أو لنقل: يؤاجرون) مع صدقي في تحرير جريدته، منهم أحمد إبراهيم عبد الله، وحسيب كيالي، وغازي أبو عقل.. وسليمان العيسى شاعر العروبة الذي مازحه عمي غازي بمقالة عابرة للقارات بلغت مئة صفحة من ورق الطابعة الكومبيوترية الذي يعرف باسم (A4).. ويزيد.

لقد دخل الأستاذ غازي أبو عقل، منذ زمن ليس بالقليل، في (سن الوقار التاريخي)، وهو السن الذي يبلغه الرجل فتخاطبه الحسناوات، بناء عليه، بعبارة (يا عمو!)، وإذا أرادت إحداهن أن تمعن في ممازحته وإغاظته فإنها ترفع جرعة المزاح فتقول له (مرحبا جدو).. ومع ذلك فقد اشتغلت جريدة الكلب التي يُعتبر غازي أبو عقل من أهم أركانها، وهو وريثها الشرعي الذي استمر يحررها حتى هذه اللحظة، اشتغلتْ على إزالة (الوقار)، و(الهيبة)، و(التجهم).. إلى آخر ما هنالك من الصفات التي يعشقها الأدباء والصحفيون، نخص منهم أصحاب الأسماء اللامعة الذين لا يضحك واحدُهم للرغيف التنوري الساخن- على حد تعبير أستاذنا المرحوم حسيب كيالي- ولا يرخي عضلات وجهه حتى ولو أصبح القمح أرخص من الفجل.. وهذا ما أكده الأستاذ غازي في الحكمة التي دونها في العدد الصادر بتاريخ ١/٢/٢٠١٠ من جريدة الكلب وهي:

سائقٌ داسَ كلبَنـا فأماتَـهْ
فارتدى "المؤمنون" ثوب الشماتَهْ
يبغضون المزاحَ والنقدَ أيضاً
مَنْ يُحاولْ.. تعمَّدُوا إسكاتَهْ

من هذا المنطلق فإن غازي أبو عقل، في النقد، لا يعرف لومة لائم، وليس لديه- كما يقولون- لحية ممشطة، فحينما فاز الدكتور جابر عصفور بجائزة الرئيس معمر القذافي التي رفضها الكاتب الإيطالي "جويتيسولو"، بدعم من

رئيس لجنة التحكيم الدكتور صلاح فضل، كتب يقول:
فَضلكُمْ يا صلاحُ ليسَ بِخافٍ.. رغمَ ما في تفكيرنا مِن تَنافي
"جويتيسولو" مثقفٌ ألمعيٌ.. ذو ضمير من أندر الأصنافِ
رفضَ المبدعُ الحقيقيُّ جهراً.. ارتهانَ الضميرِ للإسفافِ
فلماذا رهنتَ نفسَكَ يا فضلُ.. وفَضَّلتَ مورداً غيرَ صافِ؟
وفي مناسبة أخرى يقرأ اسم امرأة مجهولة مشـــــــاركة في مؤتمر عربي للترجمة يشرف عليه د. جابر عصفور، ويحضره عدد من أصحاب الأسماء الكبيرة، يكتب:
عليك بجابرَ فهو الذي يجبرُ في عقلنا ما انكسرْ
ففي وسعه رفع من يصطفيه ليهديَه أرجوحةً في القمرْ
يمارسُ حرية الديكتاتور على عصبةٍ من بعيدي النظرْ
تروم الجوائز في من كل صنفٍ ولو في المنامة أو في قَطَرْ
ومن أجمل ما أبدعه أستاذُنا غازي أبو عقل في مجال الصـــحافة الشـــعرية الكلبية الساخرة، قصيدةٌ كتبها بعدما قرأ في إحدى الصحف خبراً عن مشفى حكومي بحلب قدم حوالي ٤٨٩٠٨٠ خدمة طبية خلال إحدى الســنوات، في حين بلغ إجمالي مراجعي المشـــفى ١١٧٤٤٠ مراجعاً، واستقبل أكثر من ٢٠٨٠ معضوضاً من قبل الكلاب في عيادة مختصة بـ"داء الكَلَب"..
جاء في القصيدة:
وجهُنا في الجريدة اسوَدَّ جداً
بعد نشر الوقائع المرقومهْ
إن هذي الأرقام تكشف بالفعل
ستاراً.. عن أزمة مكتومهْ
لم نحاول في "الكلب" لفلفةَ الأمر
كبعض الصحافة الملغومهْ
نحن في خدمة الحقيقة دوماً
وهو نهجٌ أسبابُه مفهومهْ
تسأل "الكلب" نفسها كل يومٍ
هل سترضى بسمعة مثلومه؟
رَوَّعَتْها الأرقامُ.. بل أخجلتها
فلماذا تشتدُّ هذي الخصومهْ؟
بين قرائها.. كلاباً وناساً
أتراها أحوالُهم مأزومهْ؟
دُجِّنَ الكلبُ منذ تسعين قرناً
فاستفيدوا من هذه المعلومهْ
هل تعض الكلاب إلا المسيـ
ـئين إليها إساءة مذمومه؟
من يفسرْ تفاقمَ العض في الـ
ـفُطْرِ بهذه الوتيرة المحمومه؟
"اقتصاد السوء" العظيم أجابتْ
فئةٌ من وجوده مظلومهْ
بينما يدعي كثيرون أيضاً
أنه بات قصةً محسومه
إن منع النباح يفضي إلى الكبتِ
فإن عض كلبُنا.. لن نلومه
سوف تبقى جريدةُ "الكلب" حتماً
بقضايا كلابنا مهمومه
عبر هذا النداء تطلب منهم
وهي تعني كلابَنا المحرومه
لا تعضوا المواطنين رجاء
صعدوا كبتَكم وعضوا الحكومه
غازي أبو عقل، باختصـــار، شخصـــية ثقافية كبيرة، يجيد اللغتين العربية والفرنســـــية إجادة تخوله الترجمة من إحدى اللغتين إلى الأخرى بطلاقة مدهشة، متابع لملف القضية الفلسطينية منذ نشوئها، بل منذ نشوء المشروع الصهيوني الذي جاء أساساً ليضرب مشروع النهضة العربية، ترجم عدة كتب في هذا الشأن أبرزها كتاب (إسرائيل في خطر من السلام).. معاصر لمشـــــــروع الأخوين الرحباني الموسيقي الغنائي منذ طهوره في مطلع الخمسينيات، وكان صديقاً شخصياً لعائلة الرحباني وفيروز.. وهو من أعمدة الأدب العربي الساخر، ومن أبرز الشعراء (المضحكين المبكين)، استطاع أن يحافظ على تراث جريدة الكلب، واستمر في إصدارها رغم التطورات الهائلة التي حصلت في عالم الطباعة والصحف.. والصحافة الإلكترونية..
ومن الحكايات الطريفة في هذا المضـــمار أنه وضع ذات مرة على الجريدة عنوانها على الإنترنت كما يلي (http:www.kik.com)، وهو عنوان وهمي بالطبع.. ولكن أحد القراء عاتبه بأنه بحث عن موقع الجريدة، بحسب العنوان المثبت عليها، فلم يجده!
وتحية حارة لك.. يا أستاذي غازي أبو عقل

بمنتهى الجد والهزل

بمنتهى الجد والهزل

كش ملك :هذه زاوية جديدة أحدثناها مكان زاوية تحيات إلى كش ملك .. فيها نختار مقالات مهمة تتناول الشأن السوري من الصحف العربي

علي الأمين

الخميس ٢٩ أيار (مايو) ٢٠١٤

لا الأسد رئيساً.. ولا بعبدا يمكن اجتياحُها بعد اليوم

الحشد على أبواب السفارة السورية وعلى الطرق المؤدية إليها ليس أمراً عفوياً، ولا يمكن النظر إليه الا باعتباره عملاً منظماً من قبل جهة قادرة ومحترفة. هذا لأن أحداً من اللبنانيين لا يشكّ بأنّ النظام السوري يعجز عن توفير هذه العَراضة اللبنانية– السورية، هو الذي يستعين على قضاء حوائجه السورية بأطراف لبنانية وعراقية وإيرانية.

هي عراضة لبنانية أكثر منها حشد سوري، منبعاً ومصبّاً. لكن ليس هذا من صنع حزب البعث السوري في لبنان. وهو أيضاً ليس تعبيراً عن كفاءة سفير النظام السوري في لبنان على جذب هذه الحشود التي كانت تتقاطر إلى مركز السفارة السورية في بعبدا يوم الأربعاء.

هي عراضة لبنانية، أشرف عليها حزبُ الله وأدارها وعاونه في تنفيذها بعض قوى ٨ آذار... فهذه الحشود جيء بها من مناطق لبنانية عدّة، ونُقِلَت بالباصات إلى السفارة السورية، مسبوقة بتحذير مباشر للمشاركين بأنّهم في حال لم يشاركوا ستُصادر بطاقات هوياتهم التي أُخذت منهم قبل أيّام واستردّوها في السفارة بعد انتخاب بشّار الأسد.

رافقت عملية التحضير للعراضة إشاعات خَلَقَت حالة من الخوف لدى العديد من السوريين، بأنّ عدم المشاركة سيجعل مَنْ يتخلف عن الركب الانتخابي ملاحقاً في عمله وفي مكان إقامته أو لجوئه.

هذا كان حال الجزء الأكبر من الذين جُلِبوا أو قدموا إلى المشاركة في العراضة. هذا حصل في منطقة صبرا وعند «محطة الرحاب» بضاحية بيروت الجنوبية وفي أمكنة أخرى في الجنوب والبقاع.

التهويل والترهيب والجهاز المنظم نجح في تطويع جزء من السوريين في لبنان، علما أنّه لم ينجح في جلب إلاّ نسبة ضئيلة لا تتجاوز ١٠ في المئة من عديد اللاجئين السوريين في لبنان.

في المقابل حقّق القائمون على هذه العراضة مجموعة مكاسب لا يمكن إغفالها، وهي بالدرجة الاولى والثانية والثالثة لبنانية بحتة: فقد أظهر حزب الله وحلفاؤه في ٨ آذار هشاشة «التانيين» في لبنان. سواء كانوا من قوى ١٤ آذار أو من المعارضين السوريين. إذ نجح، وأمام الأجهزة الأمنية والقوى السياسية، في تقديم هدية في الشكل إلى النظام السوري من دون ظهور أي رد فعل معتبر وملموس، يُشار إليه بالبنان، في لبنان. لا بل زاحم هذا الغياب السياسي والشعبي عن الردّ على المشهد المصطنع انزلاق بعض الفئات الحزبية نحو مسار عنصري يدعو إلى طرد السوريين من لبنان.

كما نجح منظمو العراضة في توجيه رسالة ميدانية مفادها التالي: من يستطيع أن يحمي الرئاسة السورية في لبنان، وقادر على صناعة هذا المشهد كرمى للرئيس السوري على أعتاب قصر بعبدا في الحازمية، هو أقدر على حماية الرئيس اللبناني المنتظر، وقصره، إذا أراد. ومن يحمي يستطيع أن يهدّد كذلك، ليس أمنياً فحسب بل سياسياً أيضاً.

إلى ذلك أمّنت هذه العراضة توجيه رسالة طازجة، هدفها اعاد توكيد القدرة على التعطيل في الاستحقاق الرئاسي اللبناني في حال ظلت مساراته المحلية أو الخارجية غير متوافقة مع القابض، ليس على الميدان اللبناني فحسب بل، على جزء من سوريا أيضاً.

على أنّ هذه الرسائل من على منصة بعبدا، اتجاه كل طامح للسكن في القصر الرئاسي، هي محاولة لاستثمار الإنجازات العسكرية السورية لحزب الله في لبنان، بعدما أظهرت المواقف الدولية، لا سيما الأميركية، أنّها لا تعير اهتماما لها، وأنّها ليست في وارد التعامل مع الانتخابات السورية بغير اعتبارها مهزلة.

وكما أنّ الرئيس الاميركي باراك أوباما قابل عملياً التقدم المحدود عسكرياً للنظام وحلفائه في سورية بتقدّم موازٍ ومحدود بإعلان دعم المعارضة عسكرياً، فإنّه أكد بوضوح لا لبس فيه على سياسته في عدم التدخل بعمل عسكري مباشر ضمن ما سمّاه «الحرب الأهلية في سورية». ما يعني أنّ واشنطن أفرغت الإنجاز العسكري للنظام من أي مضمون سياسي. بل ذهبت بشكل صريح لأول مرة أمس إلى المساواة بين الديكتاتور في سورية وبين الإرهاب، بما يسقط أيّ محاولة من النظام السوري للنفاذ دولياً من خرم «الحرب على الارهاب».

من هنا يصير مشهد العراضة في بعبدا ليس أكثر من تثبيت منصّة رسائل على أعتاب القصر، ثم إطلاقها، لمحاولة تجيير المكاسب العسكرية التي حقّقها حزب الله في سورية داخل ميزان الاستحقاق الرئاسي اللبناني.

لكن في المحصّلة، وخلافاً لقول البعض إنّ حزب الله يشارك في انتخاب الرئيس السوري، فالحقيقة المرّة أنّ حزب الله عاجز عن انتخاب الأسد أو تعويمه، كما هو عاجز عن الانفراد بانتخاب شبيهه في لبنان. وبالتالي فإنّ المشهد الذي صنعه حزب الله في بعبدا هو مشهد كاريكاتوري، فلا الأسد رئيس ممكن بعد الآن، ولا بعبدا يمكن دخولها بجحافل سورية بعد اليوم.

بمنتهى الجد والهزل

عمر قدور

المستقبل

نوافذ- ٢٧/١٠/٢٠١٣

تعفيش سوريا

الحشد على أبواب السفارة السورية وعلى الطرق المؤدية إليها ليس أمراً عفوياً، ولا يمكن النظر إليه الا باعتباره عملاً منظماً من قبل جهة قادرة ومحترفة. هذا لأن أحداً من اللبنانيين لا يشكّ بأنّ النظام السوري يعجز عن توفير هذه العَراضة اللبنانية– السورية، هو الذي يستعين على قضاء حوائجه السورية بأطراف لبنانية وعراقية وإيرانية.

هي عراضة لبنانية أكثر منها حشد سوري، منبعاً ومصبّاً. لكن ليس هذا من صنع حزب البعث السوري في لبنان. وهو أيضاً ليس تعبيراً عن كفاءة سفير النظام السوري في لبنان على جذب هذه الحشود التي كانت تتقاطر إلى مركز السفارة السورية في بعبدا يوم الأربعاء.

هي عراضة لبنانية، أشرف عليها حزبُ الله وأدارها وعاونه في تنفيذها بعض قوى ٨ آذار... فهذه الحشود جيء بها من مناطق لبنانية عدّة، ونُقِلَت بالباصات إلى السفارة السورية، مسبوقة بتحذير مباشر للمشاركين بأنّهم في حال لم يشاركوا ستُصادر بطاقات هوياتهم التي أُخذت منهم قبل أيّام واستردّوها في السفارة بعد انتخاب بشّار الأسد.

رافقت عملية التحضير للعراضة إشاعات خَلَقت حالة من الخوف لدى العديد من السوريين، بأنّ عدم المشاركة سيجعل مَنْ يتخلف عن الركب الانتخابي ملاحقاً في عمله وفي مكان إقامته أو لجوئه.

هذا كان حال الجزء الأكبر من الذين جُلِبوا أو قدموا إلى المشاركة في العراضة. هذا حصل في منطقة صبرا وعند «محطة الرحاب» بضاحية بيروت الجنوبية وفي أمكنة أخرى في الجنوب والبقاع.

التهويل والترهيب والجهاز المنظم نجح في تطويع جزء من السوريين في لبنان، علما أنّه لم ينجح في جلب إلاّ نسبة ضئيلة لا تتجاوز ١٠ في المئة من عديد اللاجئين السوريين في لبنان.

في المقابل حقّق القائمون على هذه العراضة مجموعة مكاسب لا يمكن إغفالها، وهي بالدرجة الاولى والثانية والثالثة لبنانية بحتة: فقد أظهر حزب الله وحلفاؤه في ٨ آذار هشاشة «التانيين» في لبنان. سواء كانوا من قوى ١٤ آذار أو من المعارضين السوريين. إذ نجح، وأمام الأجهزة الأمنية والقوى السياسية، في تقديم هدية في الشكل إلى النظام السوري من دون ظهور أي رد فعل معتبر وملموس، يُشار إليه بالبنان، في لبنان. لا بل زاحم هذا الغياب السياسي والشعبي عن الردّ على المشهد المصطنع انزلاق بعض الفئات الحزبية نحو مسار عنصري يدعو إلى طرد السوريين من لبنان.

كما نجح منظمو العراضة في توجيه رسالة ميدانية مفادها التالي: من يستطيع أن يحمي الرئاسة السورية في لبنان، وقادر على صناعة هذا المشهد كرمى للرئيس السوري على أعتاب قصر بعبدا في الحازمية، هو أقدر على حماية الرئيس اللبناني المنتظر، وقصره، إذا أراد. ومن يحمي يستطيع أن يهدّد كذلك، ليس أمنياً فحسب بل سياسياً أيضاً.

إلى ذلك أمّنت هذه العراضة توجيه رسالة طازجة، هدفها اعاد توكيد القدرة على التعطيل في الاستحقاق الرئاسي اللبناني في حال ظلت مساراته المحلية أو الخارجية غير متوافقة مع القابض، ليس على الميدان اللبناني فحسب بل، على جزء من سوريا أيضاً.

على أنّ هذه الرسائل من على منصة بعبدا، اتجاه كل طامح للسكن في القصر الرئاسي، هي محاولة لاستثمار الإنجازات العسكرية السورية لحزب الله في لبنان، بعدما أظهرت المواقف الدولية، لا سيما الأميركية، أنّها لا تعير اهتماما لها، وأنّها ليست في وارد التعامل مع الانتخابات السورية بغير اعتبارها مهزلة.

وكما أنّ الرئيس الاميركي باراك أوباما قابل عملياً التقدم المحدود عسكرياً للنظام وحلفائه في سورية بتقدّم مواز ومحدود بإعلان دعم المعارضة عسكرياً، فإنّه أكد بوضوح لا لبس فيه على سياسته في عدم التدخل بعمل عسكري مباشر ضمن ما سمّاه «الحرب الأهلية في سورية». ما يعني أنّ واشنطن أفرغت الإنجاز العسكري للنظام من أي مضمون سياسي. بل ذهبت بشكل صريح لأول مرة أمس إلى المساواة بين الديكتاتور في سورية وبين الإرهاب، بما يسقط أيّ محاولة من النظام السوري للنفاذ دولياً من خرم «الحرب على الارهاب».

من هنا يصير مشهد العراضة في بعبدا ليس أكثر من تثبيت منصّة رسائل على أعتاب القصر، ثم إطلاقها، لمحاولة تجيير المكاسب العسكرية التي حقّقها حزب الله في سورية داخل ميزان الاستحقاق الرئاسي اللبناني.

لكن في المحصّلة، وخلافاً لقول البعض إنّ حزب الله يشارك في انتخاب الرئيس السوري، فالحقيقة المرّة أنّ حزب الله عاجز عن انتخاب الأسد أو تعويمه، كما هو عاجز عن الانفراد بانتخاب شبيهه في لبنان. وبالتالي فإنّ المشهد الذي صنعه حزب الله في بعبدا هو مشهد كاريكاتوري، فلا الأسد رئيس ممكن بعد الآن، ولا بعبدا يمكن دخولها بجحافل سورية بعد اليوم.

ش في بداية الثورة السورية، وعندما بدأت مخابرات النظام بمداهمة البيوت في الأحياء الثائرة، اشتُهرت طرفة عن عنصر في المخابرات في أثناء اعتقال أحد الناشطين، فالعنصر نظر إلى أثاث البيت وقال: «عندكن مايكروويف وبدكن حرية»؟!

الطرفة اشتُهرت لعدم وجود رابط بين المايكروويف والحرية سوى في ذهن العنصر الذي أبدى استنكاره، والذي يبدو لسبب ما يعلّق على فرن المايكروويف أهمية خاصة من بين قطع الأثاث الباقية، ويعتبره ترفاً كبيراً لا يليق معه أن يفكر المرء بترف آخر كأن ينتفض على النظام الذي سمح له بالترف الأول!

البعض، ربما بحسن نية، استدل آنذاك من التساؤل «الطرفة» عن مدى سذاجة عنصر المخابرات وتعتيره اللذين دفعاه لإيلاء كل تلك الأهمية للمايكروويف.

الطرفة التي تنتشر الآن في سوريا، أن امرأة من حي النزهة الحمصي الموالي تخشى على ابنها المجند في قوات النظام، وتوصيه إذا شارك في اقتحام المناطق التي يسيطر عليها «المسلحون» أن يختبئ في خزانة أول بيت يدخلونه. وهكذا عندما ينتهي زملاؤه من الاقتحام ويقومون بتعفيش البيوت، كما تقول الطرفة، فإنهم سيعيدونه مع الأثاث المسروق إلى النزهة سالماً.

التعفيش، كما بات واضحاً، هو سلب البيوت من محتوياتها كافة بغية بيعها في أسواق الأحياء الموالية فيما عُرف أولاً بظاهرة «أسواق السنّة» في أحياء حمص

الموالية، ثم توارت التسمية قليلاً عن التداول بعد شيوع التعفيش في كافة المناطق التي تشهد اقتحامات لقوات النظام أو شبيحته. ظاهرة التعفيش ليست جديدة تماماً، فالسوريون منذ أكثر من ثلاثة عقود تداولوا نكات كثيرة عن أعمال تعفيش قام بها «الجنود البواسل» في أثناء مهمتهم «القومية» في الدفاع عن لبنان، بما فيها الطرائف التي تُروى عن دهشة بعضهم إزاء «الترف» الذي رأوه في البيوت والذي لم يكن متاحاً للسوريين حينها بحكم إغلاق الحدود أمام الكماليات، تماماً كدهشة ذلك العنصر أمام وجود المايكروويف في بيتٍ في داريّا.

على الصعيد المحلي أيضاً، قد يُفاجأ البعض إن عَلِم مثلاً أن مثقفاً سورياً يعيش في بيت هو في الأصل مملوك لمثقف سوري آخر، بعد أن استولى عليه النظام من مالكه الأول وقام بتأجيره للثاني. فمنذ ثمانينات القرن الماضي حجز النظام على أملاكٍ عائدة لمعارضين سوريين، جلّهم بتهمة الانتماء إلى الإخوان المسلمين، بعض البيوت المستولى عليها راحت لقادة أمنيين وبعضها الآخر تم تأجيره بأسعار بخسة جداً لأشخاص مقرّبين من النظام؛ أصحاب هذه البيوت إما قُتلوا ولا يتجرأ ورثتهم على المطالبة بها، أو أنهم منفيون وربما يحلمون بالعودة يوماً إلى بيوتهم التي يتنعم بها غرباء لا يعرفونهم، ولا يعرفون أن المفاتيح التي يحتفظون بها لم يعد لها سوى قيمة رمزية بعد انتهاك الغرباء لأماكن حنينهم.

الجدير بالذكر أن النظام عمد أيضاً منذ أكثر من سنة إلى رفع قضايا ضد معارضين سوريين متهماً إياهم بالإرهاب، وصدرت قرارات «قضائية» بالحجز على أملاكهم ومصادرتها.

قبل أكثر من سنة من الآن كان بوسع من يريد شراء شاشة تلفزيونية مستعملة بسعر يعادل ٥٠ دولاراً في الوقت الذي تبلغ فيه قيمة الجديدة منها حوالي ٤٠٠ دولار، وكان وارداً جداً أن يحصل على هدية «متواضعة» مع الشاشة المستعملة من نوع «آيباد» مثلاً!

البواسل الذين يعفشون البيوت لم يكونوا قد اكتسبوا الخبرة ليعرفوا ما هو الآيباد، وليعرفوا أن سعر هذا الجهاز الصغير يفوق سعر الشاشة الكبيرة، ثم إن الحجم الكبير للسلع المنهوبة والتعطش لبيعها كان يدفع السارق إلى عرض أسعار مغرية جداً، فأحدهم على سبيل المثال عرض للبيع ١٧ طابعة كومبيوتر بسعر يعادل المائة دولار فقط، وللأمانة لم يغفل مصدر السرقة الذي كان مدينة حمص. بالطبع عندما يجري الحديث عن عدد كبير من الطابعات فهذا يعني أن السطو راح يطاول المستودعات الصناعية والتجارية لا البيوت فقط، وعلى نطاق أضخم ثمة معامل تم الاستيلاء على معداتها وتفكيكها بالكامل ثم بيعها داخل سوريا أو خارجها؛ ثمة «اقتصاد» نشأ على ظاهرة التعفيش وهو الذي يساهم بتمويل استمرار الحرب التي يخوضها النظام.

في الواقع أصبح التعفيش جزءاً أساسياً من المكاسب التي يسعى إليها شبيحة النظام من وراء كل معركة يخوضونها ضد المناطق الثائرة، فالنظام لا يدفع لهم رواتب مجزية مقابل المخاطر التي يلاقونها، ويترك لهم في المقابل حرية نهب ما يصادفونه من ممتلكات بعد إنجاز الاقتحام، أي أن التعفيش لم يعد سلوكاً فردياً يتعلق بالسوية الأخلاقية لأحد منهم؛ السوية الأخلاقية غير المنتظرة أصلاً من قَتَلة. هناك صفقة باتت واضحة جداً منذ البداية تنص على أن يأخذ رؤوس النظام المكاسب الأمنية والاقتصادية الكبرى، وأن يتركوا لأولئك الشبيحة الصغار استباحة المناطق المنكوبة جزاءً على تفانيهم في المعارك. هكذا لم تعد السرقة فعلاً شائناً تجري مداراته، بل باتت تجارة الأثاث المستعمل هي الأكثر رواجاً في المناطق الآمنة، وانتشرت بضاعتها وأماكن بيعها على نحو مكشوف وغير مسبوق، بخاصة بعد أن تراجع تصنيع أو استيراد الكثير من السلع إما لنهب المصانع وسرقتها أو لأن التجار أحجموا عن الاستيراد بعد تعرض مستودعاتهم للنهب، وبعد أن أصبح مرور بضاعتهم من الحواجز الأمنية يكلفهم الكثير.

نظرياً، ينعم أولئك المكلّفون بالحواجز الأمنية بأمن أفضل من زملائهم المكلفين بالاقتحامات، حيث يقتصر عملهم على التدقيق الممل في الوثائق الشخصية والسلع العابرة، ومقابل هذا الأمان لا يحصلون على المكاسب التي يحظى بها المقاتلون. بل إن هناك قصصاً يرويها بعض النشطاء برومانسية على صفحات التواصل الاجتماعي عن ذلك المجند الذي سئم التعرض للناس والتدقيق في ثبوتياتهم مع علمه بمدى الإزعاج الذي يتسبب به؛ ربما كان ذلك المجند موجوداً حقاً، وربما كان مستاء فعلاً ويرى أن وجوده هذا أهون شراً من وجوده في المعركة، لكن لزملائه رأي مختلف كما تظهر الوقائع، فمرور شاحنات البضائع بين المدن والأحياء صار يتطلب إفراغها والعبث بمحتوياتها ما يؤدي في كثير من الأحيان إلى تخريبها، الحل الأسهل لمصلحة الأطراف جميعاً هو السماح بمرور الشاحنة بلا تفتيش بعد قبض «عمولة» المرور، أما تغطية العمولة فتأتي على حساب المستهلك الذي يبقى سعيداً بالحصول على السلع بثمن مرتفع فذلك أفضل من انقطاعها، بخاصة السلع الغذائية.

التعفيش و«عمولة» المرور على الحواجز هما عماد ما يقدّمه النظام لشبيحته الصغار، ولولا هذه السرقات لما استمر الكثيرون منهم في الحرب، أو لما انخرطوا فيها أصلاً. ولكي نقارب المسألة في إطارها الاقتصادي تكفي الإشارة إلى أن التقديرات تشير إلى تدمير حوالي أربعة ملايين بيت سوري، وإذا افترضنا أن هذا العدد يطابق عدد البيوت التي جرى تعفيشها، وإذا افترضنا أن الحد الأدنى لقيمة ممتلكات البيوت لا يقل عن ثلاثة آلاف دولار، فإن الحصيلة تكون حوالي ١٢ بليون دولار من الممتلكات الشخصية المسروقة وحدها، من دون حساب للممتلكات الصناعية والتجارية. الحساب هنا لا يشمل تدمير الممتلكات غير المناسبة للسرقة والبيع بسهولة، فالشبيحة في كثير من الأحيان يعمدون إلى حرق البيوت بعد تعفيشها، أو إلى إطلاق الرصاص على الأشياء الثابتة التي لا يريدون انتزاعها مثل خزانات المياه.

في الواقع لم يكن ذلك العنصر ساذجاً عندما تساءل مستنكراً «عندكن ميكروويف وبدكن حرية»؟! لقد كنا نحن السذّج إذ ظننا ها طرفة وتداولناها بوصفها كذلك، أما هو فمن المرجح أنه لا يزال يكرر أسئلة متشابهة على مسمع المعتقلين بقناعة أكبر بعد كل تعفيش، ومن المرجح أنه أيضاً بات يفهم أن الآيباد ليس تلفزيوناً صغيراً تافهاً.

مجلة إلكترونية سياسية ـ اجتماعية ـ نقّادة ـ ساخرة

(تطمح لأن تكون هزلية)